الإبداع الدلالي في المتضايفين
بين البنية التصورية والبنية العصبية

الإبداع الدلالي في المتضايفين
بين البنية التصورية والبنية العصبية



الإهداء

إلي روح العالم الجليل الذي ملأ الدنيا علماً ونوراً وهدايةً
إليك أيها الحبيب تحية حب من محب أحبك لله وفي الله
إليك أستاذي الكبير أ.د. **محمد حماسة عبد اللطيف**
لقد ظننتُ أنه لن يموت، فكيف يموت حامل النور !
وصدَّق ربي ظني بقوله: ﴿**بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾
فأنت بإذن الله حي عند ربك وإنا بك للاحقون .

أ. د. عطية سليمان أحمد

في علم الدلالة الإدراكي ...

الإبداع الدلالي في المتضايفين

بين البنية التصورية والبنية العصبية

[كتاب ثمار القلوب للثعالبي نموذجاً]

الأستاذ الدكتور/ عطية سليمان أحمد

أستاذ العلوم اللغوية

كلية الآداب – جامعة قناة السويس



الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي

الكتاب : في علم الدلالة الإدراكي ...

الإبداع الدلالي في المتضايفين

بين البنية التصورية والبنية العصبية [كتاب ثمار القلوب للثعالبي نموذجاً]

المؤلف: أ. د. عطية سليمان أحمد

تاريخ الإصدار : ٢٠١٧ م

الناشر : الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي

العنوان : ٨٢ شارع وادي النيل المهندسين ، القاهرة ، مصر

تلفاكس : ٥٦١ ٣٣٠٣٤ (٠٠٢٠٢) ١٧٣٤٥٩٣ ٠١٢٢

البريد الإليكتروني: m.academyfub@yahoo.com

رقم الإيداع : ٢٠٣٤٠ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي : 7 - 97 – 6149 – 977 – 978

المقدمة

يرتبط المضاف والمضاف إليه بعلاقة دلالية سوغت لهما أن يقترنا معاً، وهذه العلاقة أعيد النظر إليها من خلال نظريات علم اللغة الحديثة، فاتضح الفرق الشاسع بين الدراسة التقليدية لتلك العلاقة، وما وصلت إليه النظريات الحديثة من نتائج أوضحتْ من خلالها الجانب الإبداعي في تلك التراكيب الإضافية، وقد وظَّف المتكلم المبدع هذه التراكيب للتعبير عن معان معروفة، وأخرى غير معروفة من قبل، بل إنه وظفها أيضا لسد ثغرات في مفردات اللغة، تحتاجها اللغة لتعبير الأفكار وتسمية أشياء جديدة علي مجتمعها.

إن هذا العمل الذي نقدمه في هذه الدراسة يقوم على فكرة الإبداع الدلالي ، حيث نجمع بين لفظين لإنتاج مركب جديد يحمل دلالة جديدة، ربما لا تتكون من كل لفظة منهما على حدة، هذا هو مفهوم المزج الدلالي الذي يمثل الجانب الإبداعي في اللغة، ويوضح إلي أي مدى يتفاعل أبناء اللغة مع الجانب الخلاق في اللغة (جانب الدلالة) في التعبير عن أفكارهم المتجددة؛ وهو ما سماه المحدثون بـ " **المزج المفهومي**" أو النحت.

إن المتكلم المثالي يستطيع أن يولد من اللفظة الواحدة عدداً لا نهائياً من المعاني، وقد جاءه ذلك من قدرته الإبداعية على توليد المعاني، والدلالات الجديدة من لفظة واحدة بما يعرف بـ (الكفاءة) فالقدرة على إنشاء جمل جديدة تكون محدودة لو أننا اكتفينا بتغيير أشكال وأنماط القوالب التركيبية للجملة فقط، فلولا ما لدى الألفاظ من معان مكبوسة داخل كل لفظة، وما لدى المتكلم من قدرة إبداعية على توليد تلك المعاني وإخراجها من مكنونها؛ لما أنتجنا كل هذه الدلالات الجديدة.

يقول د. عبد القادر فاسي فهري "إن المفردات ما هي إلا بنيات مركبة مكبوسة (compressed) والكلمة تجميع لما كان يمكن أن يكون جملاً. ومن هنا كان تحليل المفردة لا يختلف أساساً عن تحليل الجملة وضوابط النحو (بالمعنى العام الذي يعني نظام القواعد) لا ينطبق على الجمل فقط، بل ينطبق كذلك على المفردات ... وأن المعجمية (lexicalization) لا يمكن أن تكون محددة في الكلمات أو المفردات، بل إن الوحدة المعجمية قد تكون مفككة ومبعثرة في عدد من الكلمات"[1].

إن ما يقصده أ. د. الفهري أن المفردات ما هي إلا تراكيب متضمنة (مكبوسة) بمعنى أن الجملة يمكن أن تكوَّن من لفظة مفردة، تعبر عنها كجملة كاملة كما قال ابن مالك: كلامنا لفظ مفيد (كاستقم) فتصبح استقم مفردة مكونة من جملة نحوية صحيحة: فعل + فاعل، لذا لا يختلف تحليل المفردة عن تحليل الجملة، وكذا الوحدة المعجمية لا تنحصر في كلمة أو مفردة، بل يمكن أن تكون مبعثرة ومفككة في أكثر من كلمة، فالوحدة المعجمية كمعنى له مفهوم معين يمكن أن نجده في أكثر من كلمة إذا كان الأمر كذلك فلماذا لا نوظف هذه الفكرة في قضية أخري، وهي دراسة قدرة المتكلم علي خلق وإبداع علاقات جديدة بين المفردات لم نسمع بها من قبل؟ ونرى كيف استخرج ما بداخل هذه المفردات من معان مكبوسة؛ من خلال عملية عقلية ربط فيها بين لفظين مختلفين هما (المضاف والمضاف إليه)، ونتابع تلك العملية الإبداعية من خلال أحد كتب المتضايفين هو كتاب "ثمار القلوب في المضاف والمنسوب" لأبي منصور الثعالبي، ونحلل ما يرافقها من عمليات عقلية، فنرى القدرة اللغوية لدى المتكلم الذي استطاع أن يخرج ما بداخل الكلمة من معان مكبوسة وخفية، ولَّد منها دلالات جديدة، لبّي بها حاجاته الشخصية، ومتطلبات حياته اليومية ومجتمعه .

([1]) المعجمية والتوسيط: د. عبد القادر فاسي فهري، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٧، ص٤.

أ ـ مشكلة الدراسة:

هذا البحث دراسة دلالية؛ تقوم بتحليل العلاقات الدلالية بين المتضايفين، وكيفية تأويلها وبيان القدرة اللغوية الكامنة داخل عقل المتكلم علي إبداع وإنشاء علاقات دلالية جديدة كل يوم؛ حسب حاجته كمبدع وقدرته اللغوية والعقلية.

ب ـ منهج الدراسة:

استعان البحث بعدة نظريات لغوية وغير لغوية لكي يصل إلى تفسير صحيح للعلاقة الدلالية بين المتضايفين، فوضع كل نظرية بالمكان الذي تقوم فيه بدورها من تفسير هذا الجانب من الدراسة كالنظرية التحليلية ونظرية العلاقات الدلالية ونظرية الحقول الدلالية والنظرية التداولية وعلم الإدراك والأعصاب. لذا لم يخضع هذا البحث لآلية تحليلية واحدة؛ لكنه استفاد من كل الآليات العلمية التحليلية السابقة، ولكن كان تفسير العلاقة الدلالية بين المتضايفين المهيمن علي تلك الدراسة.

ج ـ مادة البحث:

كانت إضافات كتاب الثعالبي هي مادة البحث، ولكننا لم ندرسها كلها لغزارة المادة الموجودة في الكتاب وحاجتها إلى عدة مؤلفات لدراستها، فأخذت منها نماذج لتوضيح العلاقة بين المتضايفين فقط من خلال بعض أبواب هذا الكتاب.

إلى جانب ذلك؛ فإننا قمنا بعرض لأنماط التفكير الاجتماعي والقدرة الإبداعية لدي طبقات المجتمع المختلفة، التي صورتها التراكيب الإضافية على الرغم من قصرها.

وأسأل الله تعالى أن يوفقني إلى ما يحب ويرضى.

أ. د. عطية سليمان أحمد

الفصل الأول

علم الدلالة الإدراكي

(البنية التصورية والبنية العصبية)

علم الدلالة الإدراكي
(البنية التصورية والبنية العصبية)

أولا: البنية التصورية:

يقول جاكندوف عن سبب تأليفه كتاب علم الدلالة العرفانية: "وسبب كل هذا النقاش تبرير قراري المنهجي أن أقتفي بدءاً نظرية عرفانية في صياغتها البنيوية، وذلك خلافاً لأغلب الممارسات الحالية في علم النفس والعلوم الحاسوبية، وسأبسط في محاولتي البحث في الطريقة التي بها نتكلم عما نراه، نظرية البنية التصورية ـ المعلومة التي تتقاسمها الصيغ اللغوية والبصرية ـ دون شديد اهتمام بكيفية المعالجة الحسابية؛ أي الموارد المتوفرة لحسابها وتخزينها أو كيفية تصرف الخلايا العصبية في تشفيرها. فأنا أعتقد أن نظرية قوية لبنية المعلومات حيويةٌ؛ ولا محيد عنها لبناء نظريات تعتمد صيغ الوصف الأخرى"[(١)].

هذا القول يبين الطريق الذي سلكه جاكندوف لبناء نظريته (نظرية البنية التصورية) التي تقوم علي تحليل المعلومة الآتية إليه من قِبَل الصيغ اللغوية والبصرية بعيداً عن المعالجة الحاسوبية التي سلكتها نظريات أخرى، أو المعالجة التي سارت عليها نظريات العصبية التي تقوم بتحليل عمل الخلايا العصبية ودور الناقلات العصبية في نقل المدركات إلى الدماغ لتفسيرها. وهو يشير أيضاً إلى أن هناك نظريات أخرى تستخدم صيغ الوصف لتحليل المعنى بطرق ومناهج مختلفة عن النظرية البنية التصورية ليبين خطورة المعنى؛ مما أديّ إلى كثرة النظريات التي تناولته بالدراسة والتحليل .

وهذا التحليل ـ وإن كانت له وجاهته ـ إلا أنه في حاجة إلى الجانب العصبي لتفسير عملية إنتاج اللغة، وكيفية استقبال المدركات الحسية من الوسط المحيط بالحواس الإدراكية المختلفة، ثم نقلها إلى الذهن لبناء المعنى فيه ومراحل عملية البناء، وتحديد دلالات كل قول يقال، إلى جانب اعتماد كلا المنهجين (التصوري والعصبي) علي جهاز استقبال واحد يستقبل المعلومة نفسها، فالمدخل واحد وهو المدارك الحسية والعقلية للإنسان، وكذلك المعلومة واحدة التي يستقبلها الذهن ويقوم المنهجان بتحليلها، وهي المعلومة التي تدخل عبر مداركه إلى ذهنه. وسأحاول هنا الفصل بين المنهجين لبيان دور كل منهما في بناء المعنى، وإنشاء تراكيب لغوية جديدة.

١ـ مفهوم البنية التصورية:

يقول جاكندوف: " لا بد من مستويات من المثيل الذهني تكون فيها المعلومة التي تؤديها اللغة منسجمة والمعلومة الآتية من الأنظمة المحيطة مثل الرؤية والسماع غير اللغوي والشم والشعور بالحركة، وهكذا. وإذا لم توجد مثل هذه المستويات يكون من المستحيل استعمال اللغة في الإخبار عن المدخلات الحسية، ولا نستطيع الحديث عما نرى أو نسمع[(٢)].

أي لا بد لنا من مستوي في داخل أذهاننا يتم فيه تمثيل المعلومة التي تأتينا عبر اللغة منسجمة؛ أي متطابقة مع العالم الذي يحيط بنا ونصل إليه من خلال حواسنا، فإذا لم يوجد هذا الانسجام ـ كأن نشير إلى كتاب على الطاولة ونقول: هذا منزل ـ فتصبح المعلومة المنقولة إلينا عبر اللغة غير منسجمة مع الواقع الخارجي الذي نراه ببصرنا؛ لهذا قال تحت عنوان (فرضية البنية التصورية): " يوجد مستوى

---

(١) علم الدلالة العرفانية، راي جاكندوف، تر/ عبد الرزاق بنور، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠، ص٥٢.
(٢) المرجع السابق، ٦٨.

واحد من التمثيل الذهني هو البنية التصورية، وفيها تكون المعلومات اللغوية والحسية والحركية متساوقة ... وتكون فرضية البنية التصورية (ف. ب. ت) أمْثَلة (idealization) معقولة؛ وفي أحسن الأحوال هي فرضية قوية جامعة تهمُّ بنية الدماغ"[١].

هذه العبارة الأخيرة (تهمُّ بنية الدماغ) تُشير إلى ارتباط عملية البنية التصورية بمعمل كبير مركزي، هي الدماغ الذي تُصهر فيها كل تلك المعلومات؛ فالبنية التصورية كما يرى جاكندوف ثرية ثراءً في قدرتها التعبيرية كي تتناول كل الكائنات التي يمكن أن تعبر عنها اللغة، وتخزن في الذاكرة. لذا يجب الإفادة من علم الأعصاب عند دراسة البنية التصورية.

٢.١/ البنية التصورية ودورها في بناء الدلالة:

ما البنية التصورية؟ وما دورها في إدراك الأشياء؟ والتفاعل معها؛ ليتم التواصل بيننا؟ إنها المصنع الذي تُجمع فيه المادة الخام (المعلومات المتوفرة لدي الفرد عن الشيء) وتتفاعل معا في داخله لتقديم تقرير عنها للذهن، ولهذا يجب أن تكون البنية التصورية للفرد ثرية في:

(أ) قدرتها التعبيرية كي تتناول كل الكائنات والأشياء التي يمكن أن تعبر عنها اللغة .

(ب) القدرة التعبيرية كي تتناول طبيعة كل الصيغ التجريبية الأخرى .

كيف يُبنى المعني في الذهن ؟ هذا الأمر يدفعنا إلى البحث في مستوى أعمق في ذهن الفرد عن كيفية بناء المعنى في ذهنه، من خلال ذلك الإكراه العرفاني، وفرضية البنية التصورية، والتمثيل الذهني للأشياء، والأفكار وأثرهم في تكوين البنية الدلالة .

إن ما طرحه جاكندوف من تصور لمعنى الانسجام في التفاعل الحادث بين المعلومات الآتية من الأنظمة المحيطة مع النظام اللغوي؛ يبين حقيقة كبرى، هي كيف يُصنع المعنى في الذهن بما يُعرف بالتمثيل الذهني؟ من خلال مستوى واحد من التمثيل الذهني، وهو البنية التصورية ؟

يقول جاكندوف (إن البنية التصورية يمكن أن تكون مستوى أعمق من البنية الدلالية يرتبط بها بمكون قاعدة تسمى في الغالب التداولية، وهي تخصص علاقة المعنى اللغوي بالخطاب وبالخلفيات غير اللغوية"[٢]. هذه وجهة نظر كاتز وفودور، وهي وجهة النظر التي تبناها جاكندوف؛ إذن هناك مستوى أعمق من المستوى الدلالي يُصنع فيه المعنى، هو البنية التصورية، وهذه البنية التصورية ترتبط بالبنية الدلالية من خلال مكون قاعدة هو القاعدة التداولية التي تقدم تقريرا عن المعنى اللغوي؛ متمثلا في الخطاب (كلام/ حوار/ نقاش/ جدال/...) + خلفية هذا الخطاب غير اللغوية؛ متمثلة في طبيعة العلاقة بين المتكلم والمخاطب، والوسط المحيط بالخطاب (البيئة الاجتماعية/ المكان/ الزمان) ، فهي تعتمد علي الخطاب وقصديته والعلاقات التداولية.

٣.١/ فرضية البنية التصورية:

صاغ كاتز وفودور تصورا لفرضية البنية التصورية، وقد تبنى جاكندوف هذه الفرضية، وهي فرضية تربط بين أركان عملية الإدراك اللغوي وبناء المعنى، فداخل عقل كل إنسان آلة عرفانية تضمن سلامة التكوين التصوري وسلامة التكوين الدلالي وسلامة التكوين النظمي، وهذه القواعد هي التي تؤدي إلى نجاح عملية الإدراك وفهم المعنى، كل عنصر من هذه العناصر مرتبط بالآخر، ويتعاون معه لتكوين هذا الفهم كما يلي:

---

(١) المرجع السابق، ٦٩.
(٢) علم الدلالة العرفانية، ٧١.

(أ) قواعد سلامة التكوين التصوري (ق . س . ت) :

أعمق من الأبنية الدلالية لأنها هي من يكونها، وترتبط هذه القواعد بالأبنية التصورية التي يصنعها كل من النظام الحركي، والنظام البصري، والتداولية القادمة من الأبنية الدلالية والمغذية لها؛ لتقدم لنا بنية تصورية حول الشيء، وتراجع صحة تكوينها بالذهن.

(ب) قواعد سلامة التكوين الدلالي (ق . س . ت) :

تلي ق. س. ت. التصورية في العمل، حيث تقوم بمراقبة وتكوين الأبنية الدلالية التي تغذيها قواعد التناسب بين الأبنية النظمية للغة والمعجم وقواعد الاستدلال اللغوي، كل هذه الأشياء تتعاون معا في تكوين الأبنية الدلالية، إنها تراقب صنع المعنى كتصور في الذهن

(ج) قواعد سلامة التكوين النظمي (ق . س . ت) :

تقوم هذه القواعد بمراقبة التكوين النظمي للغة من أصوات صحيحة وتراكيب وأبنية، فيشترك في تكوينها التمثيل الصوتي والمعجم والأبنية الدلالية عن طريق قواعد التناسب، أي صب المعنى في قوالب لغوية مكونة من أصوات وكلمات وجمل، ليحقق للمعنى وجودا لغويا.

إذن فالإنسان كي يتكلم بكلام مفهوم لا بد أن تشترك في إنتاجه والمراقبة على إنتاجه وسلامته هذه الأشياء المجتمعة والمترابطة معا في تدرج يبدأ بالبنية التصورية، يقول جاكندوف: " يمكن أن تكون البنية الدلالية مجموعة فرعية من الأبنية التصورية - وبديلا الأبنية التصورية التي يحصل التعبير عنها باللفظ فحسب" [1] أي أن البنية الدلالية تابعة للبنية التصورية، بل إن البنية التصورية هي من تصنع البنية الدلالية وتكونها، فهي فرع منها، فالدلالة التي نتواصل بها تنطلق من مستوى أعمق هو مستوى البنية التصورية الذي هو أساس إنتاج الأبنية الدلالية، وفي إطار دلالة الألفاظ البسيطة نكتفي بالبنية الدلالية.

هذا الأمر يجعلنا نهتم كثيراً بالبنية التصورية، ودورها في بناء البنية الدلالية، هذا المستوى هو المصنع الذي يتم فيه الربط بين المعارف والتجارب الفكرية والحسية والحركية والجمالية... الخ، والألفاظ التي تدل عليها من خلال بناء تصور ذهني عنها، يدخل ضمن بناء كبير في ذهن المتكلم؛ يجمع كل هذه الترابطات والعلاقات بين الدلالة؛ وما تشير إليه في مجموعة من التصورات الذهنية، يقوم هذا المصنع بإنتاج ما يسمى بالبنية التصورية حول هذه الألفاظ والأشياء التي تشير إليها الألفاظ، أي إنتاج البنية الدلالية [2]. إن البنية الدلالية ناتجة عن بنية أعمق (أي أسبق في العمل من البنية الدلالية) هي البنية التصورية التي تصنعها، فلكي نفهم البنية الدلالية بصورة صحيحة يجب أن نتابع تكوينها في البنية التصورية وعناصر بنائها أولا، وهذا هو عمل النظرية العرفانية الأساسي .

٤.١/ البنية التصورية وأوليات التأويل الدلالي (كيفية تكوين البنية التصورية بالذهن):

قال د. غاليم: "من المسائل الجوهرية في النظرية الدلالة التصورية تحديد منزلة المعنى والتمثيل له صورياً في مستوى البنية التصورية. والبنية التصورية مظهر من مظاهر التمثيلات المعرفية يقوم عليه الفكر لدى الإنسان... فهي جبرية (algebraic) مكونة من عناصر منفصلة.. إنها إحدى الأطر الذهنية التي تمكن من تخزين التجربة، والربط بينها وبين الذاكرة المرحلية (episodic) وخطط العمل المستقبلي، كما أنها القاعدة الصورية لعمليات التفكير المنطقي والاستكشافي على حد سواء، وهي

(١) علم الدلالة والعرفانية: ٧٢.

(٢) الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية: د عطية سليمان أحمد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٣٨.

نسق مركزي من أنساق الذهن، وهي ليست جزء من اللغة في حد ذاتها، بل هي البنية الذهنية التي ترمزها اللغة في صورة قابلة للتواصل ".

إن ما يبرر غنى البنية التصورية لا ينحصر في كونها مرتكز الدلالة اللغوية؛ بل هي أيضاً مرتكز الاستنتاج والارتباط بالإدراك والفعل غير اللغويين. لذلك يمكننا أن نجد دلائل على أن بعض أنماط البنيات التصورية لدى ذوات غير اللغوية كالرضع والرئيسات (pirmates) العليا؛ وهي أنماط التمثيل الذهني تستعمل للتفكير لا للتواصل.

تفترض الأبحاث المتعلقة باكتساب اللغة أن المتعلم يبني المعنى المقصود من القول اعتماداً على السياق، ويستعمله باعتباره جزءً جوهرياً في عملية البناء الداخلي لبنية القول المعجمية والنحوية... وبذلك تكون البنية التصورية سابقة، ابستمولوجيا، علي البنية اللغوية، سواء في ما يتعلق بمتعلم اللغة أو بمسألة التطور علي العموم "[1].

هذا القول للدكتور غاليم يتضمن عدة نقاط هي :

١- البنية التصورية: هي صورة ذهنية يكونها المتكلم عن المعنى بذهنه فهي بنية تصورية عصبية.

٢- البنية التصورية: هي صورة يستعين المتكلم في تكوينها بعناصر لغوية وغير لغوية.

٣ - البنية التصورية: ترتبط بعملية عقلية كبرى هي عملية الإدراك؛ التي تمدها بكل المدركات.

٤- البنية التصورية: سابقة في نشأتها بالذهن على البنية اللغوية، فالمتكلم يُكوِّن الصورة الذهنية للمعنى في ذهنه أولاً قبل أن يختار لها البنية اللغوية، وفي إطار ما يحدث عند اكتساب اللغة الذي مثل به غاليم؛ ومن خلال دراسة لي عن النمو اللغوي عند الطفل؛ تبين أن الطفل غير قادر على النطق باسم الشيء الذي يريده لذا يشير إليه، فإذا طُلِب منه أن يحضره فإنه يذهب فيحضره دون القدرة علي النطق باسمه، فقد كوّن صورة ذهنية له ربط فيها بين الصورة المادية للشيء واسمه، لذا فهو قادر على التعامل معه واستحضاره من بنيته التصورية دون أن ينطق باسمه، كذلك المخلوقات الأخرى نحو: الرئيسات المعقد كالقرود تُعِينُه البنية اللغوية علي استحضار الشيء من البنية التصورية [2].

٥ - البنية التصورية: تتكون لدى الفرد نتيجة لتجاربه الحياتية والسياقات الاجتماعية التي يوجد فيها، فتتكون كصورة ذهنية تمثل حقيقة المعنى، فالبنية التصورية لا تنحصر في الجانب اللغوي بل ترتبط بالاستنتاج والإدراك والفعل غير اللغويين، فهي عملية عقلية ترتبط في حقيقتها بعلم النفس وعمليات الإدراك المختلفة، لا بعلم اللغة وحده .

١-٥/ تفكيك الصورة الذهنية :

ويوضح د. غاليم أسس تفكيك الصورة الذهنية للمعنى حتى نفهمه قائلاً: ترتبط أوليات التأويل الدلالي أو بناء الدلالة في اللغات الطبيعية بمجموع أنساق السمات، أو المكونات التي يقوم عليها القالب الدلالي أو (البنية التصورية) وتلعب دورا مركزيا في تخصيص التصورات وأولياتها ومبادئ تأليفها" [3].

يقصد بذلك أننا في اللغات الطبيعية نبني المعنى من خلال عدة عناصر أو مجموعة من الأنساق (ويعني بها المحددات والأطر التي تبنى داخلها الصورة الذهنية أو التصور الذهني للشيء) يمكن أن

---

(١) النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة مبادئ وتحاليل جديدة: د. محمد غاليم، دار تبقال للنشر، ٢٠٠٧، المغرب، ص٣٣.
(٢) النمو اللغوي عند الطفل، د. عطية سليمان أحمد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط٢ ،٢٠١٤، ص٤٠.
(٣) النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، ٣٤.

نتعرف عليها إذا قمنا بتفكيك المعنى، حيث نُرْجِع كل نسق إلى أصل تكوينه بالمرور بمراحل تكوينه، ولكن في الاتجاه المعاكس لعملية البناء والتكوين.

ثم يعطينا تصوراً عن كيفية تفكيك المعنى، ورده إلى أنساقه الأصلية قائلاً: يمكننا أن نجمل أهم السمات في قاعدة عامة لتكوين المقولات التصورية نحو:

١. حدث/ شيء/ مكان......

٢. ورود / نمط

٣. دالة (موضوع ١، موضوع ٢، .... موضوع ن) ←—— (كيان)

٤. مج ، بد.

٥ - بع ، تج.

وهي قاعدة تفكك التصورات إلى أنساق فرعية مركزية من السمات هي تباعاً:

١. نسق المكونات التصورية: (كالحدث والشيء، والتمييز بين الورود والنمط).

٢. بنية الموضوعات (أو البنية الدالية).

٣. نسق سمات الحقول الدلالية (ح) .

٤. السمات الجهية المتعلقة بالمحدودية (مح) والبنية الداخلية (بد) والبعد (بع) والاتجاه (تج)"[(١)]، ويمكن للقاعدة التي وضعها د. غاليم أن تحلل أي مكون دلالي ومعرفته، . فما مفاتيح هذه الرموز؟

مفاتيح الرموز: كلمة "كيان" يعني بها أي كلمة ذات معنى؛ يمكن تفكيك معناها بتحليل مكوناته التصويرية وبنيته الدالية، وسمات الحقول الدلالية التي ينتمي إليها، والسمات الجهية المتعلقة بالاتجاه والمحدودية ورمزها (مح) والبنية الداخلية ورمزها (بد) والبعد الخاص به ورمزه (بع)، واتجاه ورمزه (تج) فعند تفكيك تصور ما إلى أنساقه الفرعية؛ أي تحليل معنى ما فإننا نقوم بتفكيك الصورة الذهنية له، وإعادته إلى الأنساق الفرعية المركزية التي كونته، عندها يمكننا ملاحظة دور هذه الأنساق في خلق المعنى وتمييزه عن غيره، بتحليله إلى مكوناته الأساسية.

مثال: يمكننا تطبيق عملية التفكيك هذه في تحليلنا للتراكيب الإضافية الآتية:

[... + شيطان] [(٢)] [...+ ملائكة] [...+ جن] نقوم:

أولا: عند تحليل المضاف إليه، فنجد أن كلمة: شيطان / ملاك / جن، توجه الذهن ناحية جنس يشمل كل المخلوقات الغيبية تماثل كل أجناس المخلوقات الحاضرة، فيسقط هذا في تصورات النمط، وليس في تصورات الورود، حيث لا نعين هنا أفراداً بعينها، إنما نعين جنساً شاملاً لكل أفراد الملائكة والشياطين والجن، ومن خلال تصورات النمط يمكن تصور النمط الذي يرسم في الذهن صورة هذا النمط؛ فيصبح لكل جنس نمط يمثله في الذهن:

١. شيطان ـ جن = تمثلان صورة نمط للشر بكل ألوانه أو المهارة في كل الأعمال.

٢. ملائكة = تمثل صورة نمط لكل خير وبركة وصالح الأعمال.

ويصبح هذا النمط ممثلاً لتلك الصورة الذهنية التي تكونت لدى كل أفراد المجتمع.

ثانيا: نقوم بوضع ما نشاء من كلمات مكان النقط السابقة، فنقول:

صديق الشيطان = يطلق علي كل إنسان شرير، وكل شيء مادي أو معنوي له هذه الصفة.

---

(١) النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، ٣٤.

(٢) تمثل النقط مكان الاسم المضاف، وتمثل الكلمة التالية المضاف إليه: شيطان، ملائكة، جن .

صديق الملائكة = يطلق علي كل إنسان خيّر، أو فيه بركة.

مفهوم الإبداع الدلالي عند علماء المشرق :

مفهوم الإبداع /التوليد الدلالي لدى د. حسام البهنساوي :

يرى أ. د. حسام البهنساوي رأيا في هذه القضية؛ فهو يرى الإبداع الدلالي هو التوليد الدلالي؛ فهو يمزج بينهما دون أن يضع فاصلاً بين التوليد والإبداع في الدلالة، فكلاهما خلق لصورة دلالية جديدة فيقول تحت عنوان "**مفهوم التوليد الدلالي**": تعد سمة **الإبداع اللغوي**، هي أهم سمات اللغة الإنسانية وأظهرها، إذ يستطيع المتكلم الذي يمتلك الكفاءة اللغوية أو تلك القدرة اللغوية السليمة، من أن ينتج ويولد ويجدد في مستويات لغته المختلفة؛ الأصوات والأبنية والتراكيب والدلالة.

فالتوليد الدلالي: هو إبداع المتكلم لدلالات معجمية، وتراكيب دلالية جديدة، تختلف عن تلك الدلالة التي تفيدها الوحدة أو البنية المعجمية، المعروفة والمألوفة، بين أفراد الجماعة اللغوية، حيث يقوم أفراد هذه الجماعة.اللغوية، بتوليد معان جديدة، تحمل قيما دلالية جديدة، لأبنية معجمية.موجودة من قبل، استوجبتها سياقات ومقامات وظروف وملابسات لغوية، لم تكن تتحقق في مدلول البنية المعجمية قبل ذلك." [1] .

وحقاً ما قاله؛ فعملية التوليد هي عملية خلق لشيء لم يكن موجوداً من قبل، وإن استخدم هذا المولِّدِ موادَ بيئته (في اللغة نولد فيها بأن نخلق من ألفاظها)، وعملية الإبداع (كما سيأتي تفصيله في بابه بهذا الكتاب) هي خلق على غير نموذج؛ فنجد المبدع يفاجئنا بشيء جديد لم نتوقعه من قبل، فهذا هو الإبداع؛ وذاك هو التوليد وكلاهما خلق جديد على غير نموذج، وهي صفة وضعت في عقل الإنسان وحده، لهذا قال الحق سبحانه في سورة المؤمنين ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** (١٤) ﴾ فهو خالق كل شيء؛ وسمح لخلقه أن يخلقوا، ولكن شتان بين خلق المخلوق؛ وخلق خالق؛ فنحن نخلق من مادة موجودة سلفاً هي من صُنْعه وخلقه، ولكنه سبحانه يخلق من عدم، وقد اخترت لكتابي من بين المصطلحين (التوليد والإبداع) اسم **الإبداع الدلالي** تيمناً باسم الخالق المبدع، الذي قال واصفاً نفسه في موضعين من كتابه العظيم ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[2] فهو الخالق والمبدع فيما يخلق سبحانه.

ويفرق د. البهنساوي بين التوليد الدلالي والتوليد الصرفي واضعاً التوليد الدلالي والإبداع الدلالي في سلة واحدة قائلاً: "من المهم التفريق بين المقصود بالتوليد الدلالي وما يمثله من توليد وإبداع لدلالات ومعان جديدة للبنية المعجمية الموجودة، وبين التوليد الصرفي لأبنية والمفردات اللفظية، التي تثري الثروة اللفظية للغة، باستخدام هياكل بنائية جديدة، تحمل بدورها دلالات ومعاني جديدة كذلك التوليد الصرفي الناشئ عن عمليات الاشتقاق والتعريب والنحت والاقتراض وغيره" [3].

كذلك نجده يميز بين مستويين هما :

"١ـ مستوي التركيب الدلالي. ٢ـ مستوي العلاقات الدلالية المعجمية

...إذا كان التوليد الدلالي، يعد إبداعا لدلالات جديدة فإنه من الضروري إيجاد القواعد والقيود الملائمة، التي تضبط هذا الإبداع الدلالي وتحكمه [4] هذا يؤكد اقتناعه أن التوليد هو الإبداع.

---

(١) التوليد الدلالي، أ. د. حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٠.

(٢) سورة البقرة، ١١٧، وفي سورة الأنعام، ١٠١.

(٣) التوليد الدلالي، أ. د. حسام البهنساوي، ص١٠.

(٤) المرجع السابق، ١٠.

٦.١/ الصورة الذهنية " للجن والشياطين " في البنية التصورية لفكر القدماء:

١ـ يذكر الثعالبي حديثاً للجاحظ يصور لنا ما صورة هذه الكلمات في البنية التصورية لعقول القدماء "ليس من الناس من رأى شيطاناً قط على صورته، ولكن لمّا كان الله قد جعل في طبائع جميع الأمم استقباح صورة الشيطان، واستسماجه وكراهته، وأجرى هذا على ألسنة جميعهم، ضرب المثل به في ذلك؛ رجع بالإيحاش والتنفير وبالإخافة والتفزيع إلى ما جعله في طبائع الأولين والآخرين والشيوخ والصبيان والرجال والنساء"[١].

ويضيف الثعالبي إلى ما قاله الجاحظ: "وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين أن رءوس الشياطين نبات ينبت باليمن، وقول بعضهم: إن الشياطين هاهنا الحيات"[٢].

٢ـ يذكر الثعالبي قصة أخرى توضح هذا التصور عندهم؛ قال: سأل إبراهيم بن إسماعيل أبا عبيدة عن قوله تعالى: (طلعها كأنه رءوس الشياطين) وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله، وهذا لم يعرف، فقال أبو عبيدة: إنما كلمهم الله تعالى بما يعرفون، وعلى كلام العرب، أما سمعت قول امرئ القيس : **أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال**

وهم لم يروا الغول، ولكن لما كان أمر الغول يهولهم أُوعدوا به"[٣].

٣ ـ يذكر الثعالبي حديثا للجاحظ قال: "قال الجاحظ: إنا وإن كنا لم نر شيطاناً قط ولا صوره لنا صادق، ففي إجماع العرب والمسلمين وكل من لقيناه على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح، والكتاب إنما نزل على الذين ثبت هذا في طبائعهم غاية الثبات، قال وربما قالوا: فلان شيطان على معنى الشهامة، والنفاذ لذلك قالوا لأبي حنيفة: شيطان خرج من البحر، قال الثعالبي: قلت في أبي الحسن اللحام: هو من شياطين الإنس ورياحين الأُنس"[٤]، هذا القول الذي نقلناه عن الثعالبي والجاحظ يصور لنا الصورة الذهنية للشيطان في البنية التصورية للقدماء، وماذا يعرفون عن الشيطان والجن كمخلوقات غيبية، ويمكن أن نخرج من هذا الحديث بعدة نقاط، هي:

١ـ أدرك القدماء الصورة الذهنية من خلال المعاني المجردة، حيث أدركوا أن الشيطان لا يُرى بالعين، ولكن له صورة ذهنية في عقول البشر ارتبطت بالشر والقبح، ويمكن تصور كيف نشأت عبارة مثل **"قبح الشيطان"** في أذهانهم ؟ وذلك من خلال الشكل الآتي:

المعنى المجرد(القبح) + الشيطان (بصورته الذهنية الشريرة) ⟵ (قبح شيطان)

٢ـ إجماع البشر على تلك الصورة وتوارثها عبر الأجيال وثباتها في أذهانهم، بل أصبحت ضمن طبائعهم، وبذلك نزل القرآن الكريم مصوراً لطبائعهم وما جُبلوا عليهم واستقر ضمن مخزونهم العقلي من الصورة الذهنية عن تلك المخلوقات الغيبية.

٣. إدراك القدماء أن الصورة الذهنية التي ظهرت لديهم عند ذكر هذه العبارة مرتبطة أصلاً بما استقر ورسخ في أذهان كل البشر عن الشيطان؛ وقد وظّفها القرآن الكريم في وصفه لصورة شجر جهنم مستحضراً مخزونهم العقلي، وما في بنيتهم التصورية عنه.

٤. تطور دلالة كلمة شيطان من الدلالة على قمة الشر إلى الدلالة على البراعة في العمل أو المهارة بكل صورها، حدث ذلك نتيجة للتوافق بين المعنيين في سمة انتقائية هي البراعة.

---

(١) الحيوان للجاحظ، ٦/ ٢١٢، مصطفى الحلبي، ١٣٥٧.
(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف المصرية، ١٩٨٥، ص٧٧.
(٣) ثمار القلوب، ٧٨.
(٤) ثمار القلوب، ٧٤.

٥ـ تجسيد المعنوي المجرد في صورة مادية محسوسة؛ بتصوير الشيطان بإنسان له رأس، قال المفسرون: إن المقصود بالرأس نبات في اليمن وقالوا حيات، محاولين بذلك تجسيد المعنوي في صورة المادي المحسوس، وذلك لتقريبها إلى أذهانهم بما يوجد في مجتمعهم.

٦ـ انتشار هذه الصورة بين كل طبقات مجتمع الجاحظ والثعالبي، مما يدل على شيوعها.

١.٦.١ / كيف تتم عملية التفسير أو التأويل الدلالي ؟

إن تحول الصورة الذهنية للشيطان إلى واقع في شكل حيات أو شجر أو غير ذلك، هو محاولة تأويل وتفسير للصورة الذهنية، أي البنية التصورية لمعنى كلمة شيطان، وهو محاولة تفكيك البنية التصورية للمعنى بتأويلها بالواقع المحسوس، وهذا التفكيك مرتبط بالواقع المحيط بالبيئة الاجتماعية المصاحبة للحدث، فلا يمكننا أن نفكك الصورة الذهنية للشيطان بأن نصوره للإنسان العربي الذي عاش عمره في الصحراء بالدب القطبي مثلاً لأنه لم يره، لذا يجب أن يرتبط التفسير بالبيئة المصاحبة للحدث والقريبة من المتكلم وسامعه .

٧.١/ البنية التصورية والنمط النموذجي التاريخي:

عندما يرتبط المعنى بأشخاص لهم ماض تاريخي؛ فإنهم يتحولون إلى أنماط نموذجية لدى أجيال قريبة العهد بهم يعرفونهم ويُلِمُّون بتاريخهم؛ لأنهم ارتبطوا بأحداث تاريخية عُرفوا بها وسجلها التاريخ بأسمائهم، مما جعلهم يتحولون إلى نمط نموذجي سُجل في أذهان هؤلاء القوم، فأصبح لهم في البنية التصورية لهذا الجيل صورة ذهنية توجد في ذاكرتهم ضمن مخزونهم الثقافي والتاريخي يتمثلون بهم، فنجد اسم قارون يستحضر عندما نذكره من الذهن صورة الغنى المتكبر، واسم ثمود يستحضر صور القوم الذين قتلوا ناقة الله فاقترن اسم كل شخص من هؤلاء بالحدث التاريخي المعروف به، فتكوّنت صورة ذهنية ناتجة عن اقتران الشيئين معاً لتكون باباً لإبداع تراكيب مشابهة كما في هذا الشكل:

المركب الأصلي = شخص + شيء ما عُرف به = مركب إضافي يمثل صورتهما الذهنية.

فينتج عند ذكر المركب الإضافي استدعاء: الشخص + الحدث = (الصورة الذهنية).

مرحلة الإبداع = مركب إضافي قديم + موقف مشابه = المركب الإضافي القديم يحمل دلالة جديدة، فيصبح كل شخص في إطار المركب الإضافي عبارة عن نمط نموذجي لهذه الصفة، ويصبح مجرد ذكر الاسم فقط يتبعه استحضار للصفة المقترنة به، فنقول: فلان قارون فهو يساوي قولنا: فلان يتصف بالغنى الشديد والكبر مثل قارون الذي كان من قوم موسى، ويكفي أن نقول: كان جنودنا البواسل صاعقة عاد على الأعداء، لنستحضر شدة الهلاك الذي أنزلوه بأعدائهم.

لو حاولنا تطبيق هذا على ألفاظ تاريخية أخرى من كتاب الثعالبي مثل (ريح عاد ـ صاعقة ثمود ـ جور سدوم ـ صرح هامان ـ سد الإسكندر ـ كنوز قارون)، فسنجد كل عبارة تتكون من رأس الإضافة (المضاف) + المضاف إليه، المضاف لا علاقة له بالتاريخ، أما المضاف إليه فهو كوحدة معجمية تمثل في البنية الصورية للمتكلم تاريخاً ارتبطت به، هو تاريخ هؤلاء الأشخاص (عاد ـ ثمود...) محفور في ذاكرة المتكلم ضمن تاريخه وثقافته.

وعند نطق اسم أحدهم، فإن هذا يثير في البنية التصورية للمتكلم مجموعة من السمات الانتقائية الخاصة بـ (عاد ـ ثمود ...) التي تمكن آليات إبداعه من بناء دلالات جديدة من هذه الكلمات، فالأمر يتعلق بتحديد مجموعة لا متناهية من التصورات التي يمكن أن تتكون من هذه السمات المحددة، وفي

إطار ما تسمح به القوالب النحوية - كما في باب الإضافة الذي نحن بصدده - فإن كلمة قارون تحمل في البنية التصورية للمتكلم مجموعة من السمات الانتقائية المحددة، مثل الغنى الشديد - الكبر - عدم شكر الله على نعمه - تجاهل صاحب النعمة والفضل - وغيرها من السمات الانتقائية التي تثيرها هذه الكلمة، وما يمكن أن نستلهمه من هذه الوحدة المعجمية، وكذلك ما يمكن أن تثيره كلمة فرعون وعاد والإسكندر وثمود من سمات الانتقائية نتيجة لما لها في البنية التصورية للمتكلم من صورة ذهنية ذات ملامح مختلفة، تكونت بفعل ثقافته وتاريخه وتراثه وعادات مجتمعه وبيئته .

وتأتي الكلمة الأولى كلمة المضاف (رأس الإضافة) لتقيد غير المحدود من السمات بحدودها، فتجعلها قاصرة على تصور واحد، هو المقصود بالعبارة كما في: كنوز قارون التي حددت الصورة الذهنية المقصودة من العبارة، والسمات الانتقائية الخاصة بالتركيب، هي سمة كثرة المال فقط، لنترك باقي السمات التي ذكرتها من قبل كالتكبر وتجاهل المنعم.

ثم تأتي القدرة الإبداعية للكلمة لتوجه العبارة إلى دلالات جديدة في مجتمعنا المعاصر حين يستعيرها متكلم معاصر؛ فيطلقها على صديق له، قائلاً: فلان لديه كنوز قارون، فيستخدمها في موقف جديد معاصر بناء على رابط استعاري جديد مفاده استحضار حدث قديم لموقف جديد نتيجة للمشابهة ما بينهما بغرض المبالغة في صفة الغنى، فلا يوجد شخص معاصر لديه كنوز قارون مهما كان غنياً، فيصبح هذا الشخص (قارون) نمطاً نموذجياً لقمة الغنى في ذاكرة هذه الأمة، وفي بنيتها التصورية، قد رسمتْ له صورة ذهنية بذاكرتها .

إن هذا التحليل يعطينا تصوراً عن القدرة التوليدية للوحدة المعجمية بواسطة استخدام آلية تحليل السمات الانتقائية؛ مما يُنتج عدداً من التعابير الدلالية اللا متناهية.

يمكن - في إطار الجانب التطبيقي - أن نلاحظ دور البنية التصويرية في تحليل المركب الإضافي بصورة موسعة لبيان العلاقة الدلالية التي تربط بين المتضايفين والمعاني الجديدة التي يبدعها المتكلم من مركب اسمي، وبيان حفاوة القدماء بهذا المركب الاسمي وتأليف كتب خاصة به، وكيف تناولوه فيها بالتحليل والدراسة.

ثانياً : البنية العصبية (علاقة الإدراك بالبنية العصبية) :

٢- تعريف العلم ومفهومه :

الدلالة الإدراكية (Cognitive Semantics) فرع من اللسانيات الإدراكية (Cognitive Linguistics) يهتم بالجانب العقلي والعمليات الذهنية والقدرات الإدراكية المساعدة في عملية تحليل الكلام وفهم فحواه، حيث تتصل اللسانيات الإدراكية باللسانيات النفسية وعلم النفس الإدراكي والذكاء الصناعي وفلسفة الذهن واللسانيات الذهنية والمهارات الإدراكية.

لقد انطلق هذا العلم من التحليل المفهومي والتصوري للأنظمة اللغوية المستعملة من خلال اعتماده علي التجارب التي يكتسبها البشر من العالم المحيط بهم، والرابط الخفي الذي يربط بين جميع القدرات العقلية الداخلية، مما يصنع قناة إدراكية تأويلية داخل العقل تربط بين الأشياء التي يدركها بتصوره وتخيله وبحواسه الداخلية والخارجية؛ وذلك لإنتاج المعنى الجديد أو المفهوم في عقله، فبناء المعنى في العقل لا يقتصر علي البني اللغوية؛ وإنما يتعدها إلي شتى جوانب العقل البشري؛ فاللغة تشتغل بذات الأسس التي تشتغل بها الآليات الإدراكية في الملكات العقلية الأخرى(١).

---

(١) علم الدلالة الإدراكي، د. دلخوش جار الله حسين، مجلة الآداب، جامعة صلاح الدين، كلية اللغة العربية، العدد: ١١٠، ٢٠١٤، ص٥٢.

باستحضار هذا الفهم للعمليات اللغوية المختلفة بدأ اللغويون في دراسة العمليات العقلية التي تسبق عملية إنتاج اللغة مستلهمين النتائج التي توصلت إليها العلوم سالفة الذكر في توظيف ذلك لدراسة قضايا كثيرة في اللغة؛ فبرهنوا على أن الاستعارة والمجاز والفنون البلاغية برمتها حاضرة في مناحي التفكير الذهني وفي كل مجالات الحياة اليومية، وغير مقتصرة علي اللغة الأدبية، فتحول النظر إليها كظاهرة إدراكية مرتبطة بطرق عمل الذهن البشري في إنشاء الأنساق التصورية Conceptual Systems وتشفير بناه المعرفية. بناء علي ذلك يمكن معالجة الظواهر البلاغية واللغوية معالجة ذهنية إدراكية بمعزل عن التحليلات والمقولات التي تحصرها في آليات الصناعة اللغوية بالبحث في الاستراتيجيات الذهنية والتصور المعرفي[1].

هذا الأمر جعل اللغة في حقيقتها عملية عقلية تتفاعل في داخل العقل كله بناء علي معارف ومدخلات مختلفة تغذيه بالمادة التي تتفاعل داخله، فكل عملية لغوية هي عملية عقلية تستمد مادتها من مصادر لغوية وغير لغوية، ونتيجة لهذا التفاعل والانصهار ظهرت مصطلحات جديدة علي العلوم اللغوية، وعلماء قادمون من علوم شتى؛ كان لهم بالغ الأثر في فهم اللغة، فظهر مصطلح **(إدراك)** الذي يعني في أصله اللغوي البلوغ واللحاق بالشيء فهمه واستيعابه بدخوله إلى نطاق الذهن وإخضاعه للعمليات العقلية، ثم ظهر مصطلح **(علم الدلالة الإدراكي)** الذي لا يبعد عن هذا المفهوم اللغوي للإدراك، فهو يبحث في المجال المعرفي والتصوري للعقل البشري في تعامله مع العالم؛ وكيفية تفاعله مع المحيط الخارجي، والمدركات الموجودة فيه، ويركز علي "التمثيلات الذهنية" والصيرورات الإدراكية... إن النظرة الإدراكية إلى اللغة هي أنها جزء من المعرفة الموسوعية العامة، لذا يعد الإدراكيون اللغة ملكة ذهنية إدراكية؛ لأنها أداة لتنظيم المعلومات والخبرات ومعالجتها ونقلها وتمثيل الدلالة نواتها[2].

لقد دخل مفهوم الإدراك إلى العلوم اللغوية قادماً من علم النفس الإدراكي؛ فنرى آثار عمله في أكبر جانب من جوانب اللغة، وهو جانب الدلالة؛ مع ظهور علم الدلالة الإدراكي، فبدأ تحليل التمثيلات الذهنية؛ ومعرفة كيف يتم بناء المعنى في الذهن ؟ ماذا نعني بالإدراك ؟ وما دور العملية الإدراكية في فهم اللغة وإنتاجها واكتسابها ؟

لقد وُظِّف علمُ الدلالة الإدراكي (فهو ثمرة التقاء علم النفس الإدراكي مع علم الدلالة مع علم الأعصاب) في تحليل أنماط الصورة والمجازات المفهومية؛ لأن المفاهيم المجردة والمجازية، مثل (الكرم المروءة..) مرتبطة كليا بالتجارب المادية المحسوسة الأساسية والمتكررة المقترنة بها، فالفرد يبني تصوراً في ذهنه عن تلك المعاني المجردة عن طريق تجاربه الشخصية معها فتصبح التجارب البشرية والمعارف السابقة المادة الخام للبناء الإدراكي الذي يجسده دلالياً ومجازياً ضمن بيئة ورؤية خاصتين للعالم، مما يوضح كيفية فهم المعاني المجرد في الذهن، بأنها عبارة عن تجارب يعيشها الفرد أو يكتسبها من بيئته وتجارب الآخرين؛ تُخزن في الذهن في شكل معارف يمكن استدعاؤها عند المرور بتجارب مماثلة، فيصبح لدى الفرد دلالته الخاصة التي كوَّنها من تجاربه في بيئته ورؤيته.

(١) المرجع السابق، ٥١.
(٢) المرجع السابق، ٥٥.

٢.٢ / الصلة بين المستويات اللغوية :

يرى الإدراكيون أن الفصل بين المستويات اللغوية يضر بالمفهوم العام للغة، فعلى سبيل المثال لا يمكن أن يستقل النحو عن الدلالة أو التداولية، ولا يمكن تفسير النماذج النحوية باستعمال النماذج النحوية المجردة، وإنما من خلال قصدية المتكلم ومراده من ذلك الكلام في سياق معين، وبهذا تهدف الدلالة الإدراكية إلى أن تعيد الدلالة إلى خضم النحو؛ ليكون النحو نحواً دلالياً لا شكلياً معيارياً، لرؤيتهم والاستعمالات المختلفة اللتين تحددان الدلالة المرادة التي تتنوع بتنوع هذه المواقف والاستعمالات وهذا ما دفعهم إلي ربط الدلالة بالتداولية والنحو، أي المزج بين جميع المستويات اللغوية[1].

إن العلاقة بين مستويات اللغة علاقة تكاملية، حيث يكمل كل مستوى عمل المستوى الذي قبله؛ حتى يتم عمل اللغة الأصلي، وهو تحقيق التواصل بين البشر، فيبدو النحو ليس كعلم معياري يبحث في قضية الصواب والخطأ اللغويين ـ كما حصره القدماء في هذا الإطار ـ ليصبح وحدة تعمل في منظومة كبرى هي اللغة التي يتواصل بها الأفراد، هدفها ونجاحها في هدفها هو تحقيق مقصد المتكلم ومراده من كلامه، فالكلام الذي لا يحمل دلالة ولا يقوم النحو فيه بتحقيق هذا المقصد لا يدخل ضمن علوم اللغة، وهنا يبدو الرابط واضحاً بين النحو والدلالة، والتداولية التي تحقق أيضاً التواصل بين البشر باستخدام اللغة، فكانت التداولية هي علم التواصل باستخدام المعارف اللغوية وغير اللغوية لهذا السبب، وكان للعلوم العصبية دور أساسي في ربط تلك العناصر معاً؛ لأن كل علم من العلوم السابقة يقوم على عمليات عقلية كان العقل فيها الفاعل الأساسي والبوتقة التي تُصهر فيها.

من هذا المنطلق جاءت دراستنا للعلاقة بين المتضايفين في إطار فهم جديد لدور النحو في اللغة، حيث يحقق التواصل بين البشر؛ فيصبح المتضايفان ـ كمركب اسمي ـ يسعى لتحقيق التواصل بين المتكلمين فيحمل الدلالتين معا؛ دلالة الكلمة الأولى ودلالة الكلمة الثانية ليكوِّن منهما دلالة ثالثة، كمنتج لهذا المركب الاسمي فهو القالب اللغوي الذي تُصبُّ فيها دلالتان لينتج بذلك دلالة ثالثة، إنها عملية صهر عقلية تمت في بوتقة هي عقل المتكلم، ومن هنا نرى التلاحم بين علم النحو وعلم الدلالة وعلم الإدراك والتداولية؛ لصناعة هذا المنتج الجديد (المتضايفين)، وتعد هذه العملية عملية إبداعية؛ لأنها انتهت بخلق وإبداع منتج جديد جمع في داخله دلالتين لإنتاج دلالة ثالثة منهما، لذلك فهي عملية إبداعية وخلق تحتاج في دراستها وتحليلها إلى جهود علم النفس الذي يفسر كيف تمت عملية الخلق والإبداع في عقل المتكلم ؟

٣.٢ / أسس علم الدلالة الإدراكي :

وضع الإدراكيين المبادئ والأسس لنظريتهم عن علم الدلالة الإدراكي التي تتضح في:

١ـ إن صناعة المعنى تستدعى معرفة موسوعية لغوية وغير لغوية، فالتصميم العام للغة لا يكون في جهاز معين داخل عقل البشر، يُمَكِّنَهم من القدرة علي اكتساب اللغة بل ينطلق من العملية الإدراكية المتجذرة في داخل العقل البشري التي يدرك بها اللغة وغيرها من موجودات مجتمعه، وبيئته الظاهرة والخفية، فأصل الملكة اللغوية لديه هي ملكة إدراكية، متجذرة فيه قبل أن يولد، كغيرها من الملكات التي تسير حياته، وهي أصل الإبداع عنده.

---

(١) علم الدلالة الإدراكي،٥٧.

٢ـ إن شرح المعنى والصياغة الدلالية للمكونات اللغوية تتعدى حدود الدلالة، فلا حواجز بين الدلالة والتداولية؛ لمرونة المعنى وديناميكيته حيث يرتبط المعنى بالمواقف الخارجية والظروف الحياتية اليومية ولقدرته على تشكيل العالم الخارجي، فالمعنى اللغوي نتاج تكامل مع التجربة والخبرات الأخرى، هذا الأمر فرض علينا ضرورة إدخال عناصر غير لغوية في تحليلنا للمكون الدلالي؛ مما أدخله إدراكُه الخارجي للعالم إلى مصنع المعنى (ذهن المتكلم)، لذا يجب أن نتجاوز حدود الدلالة اللغوية والمعجمية عند شرحنا للمعنى.

٣ـ أغلب الأساليب البلاغية عبارة عن استراتيجيات وآليات وميكانزمات ذهنية؛ يدرك بها الإنسان معنى الأشياء من حوله، إذ إن العقل البشري قاصر عن إدراك المفاهيم المجردة، لذا يلجأ إلى المجاز لتقريب المفاهيم المجردة من المدركات الحسية، بهذا لا ينحصر المجاز في كونه أسلوباً جمالياً أدبياً لغوياً، فهو أوسع من ذلك؛ أي هو عملية ذهنية إدراكية بحتة، إن منظومتنا الذهنية الأساسية هي في الأساس ذات طبيعة استعارية[١]؛ فالتفاعل بين تلك الصور البلاغية يتم في الذهن وعبر عمليات عقلية معقدة يجب أن ندخلها في الاعتبار.

٤ـ قواعد اللغة هي بحد ذاتها عملية تنظيم إدراكي للمفاهيم من دونها تصبح المفاهيم مشتتة ويصعب إدراكها، فمثلاً القواعد التركيبية (النحوية) ليست أنظمة لغوية فحسب؛ بل هي منظومة ذهنية، ومن هنا يرى الإدراكيين أنه لا فرق بين اللغة الحقيقية واللغة المجازية؛ لأن كلتيهما وسائل للتعبير عن الإدراك العقلي[٢].

فعمل القواعد النحوية ينطلق من فهمنا للقول الذي يقال لذا قالوا الإعراب وليد المعنى، فمن فهم معنى العبارة جيداً أمكنهم إعرابها، فالقواعد النحوية ينظم الذهن بها دور الأفراد داخل الجملة ببيان الفاعل من المفعول ووضع علامات تميز كل منهما عن الآخر، فهي في الأصل قواعد تنظيمية لأفعال حقيقية أو مجازية أجازها مستخدمو اللغة.

في إطار الفهم السابق لدور الذهن في عملية إنتاج اللغة يمكننا أن نرى دوره في عملية الخلق والإبداع في إنشاء مركبات اسمية كالمتضايفين يمكن أن نسمي بها الأشياء والأفراد.

٤.٢ / كيف نصنع دلالة جديدة (الإبداع)؟ من الذهن إلى النطق (تصور ذهني ــ >> لفظ مسموع)

يتكلم الإنسان بلغته الأم بطلاقة ليلَ نهار دون أن يدري أو يفكر كيف تمت تلك العمليات الذهنية التي أنتجت عدداً لا نهائياً من الكلمات والعبارات والجمل؟ حتى جاءت تلك العلوم التي نشرع في دراستها لتحاول تفسير ذلك العمل؛ إننا حين نتكلم أو نكتب فإننا نشفر مضامين تصورية في توال منظم لوحدات لغوية... وفي عملية إنتاج اللغة يحوَّل المضمون المقصود لمنطوق إلى لغة[٣]، إننا نحاول استخراج ما في عقولنا من أفكار تحمل مضامين وتصورات، فنحولها إلى لغة منطوقة؛ لننقلها إلى غيرنا من خلال وحدات لغوية تحقق التواصل.

هذا العمل يمر بمراحل تشمل المستويات الآتية للعملية:

١ـ مرحلة التشكُّل التصوري: حيث توجد داخل العقل عملية إنشاء تمثيل إدراكي للمضمون المقصود النطق به، فأنا أحمل في عقلي فكرة أحاول أن أنقلها لك فأحددها في عقلي أولاً، هنا تختار المعلومات التي يريد المتكلم أن يبلغها لسامع بقصد معين[٤] للتواصل معه بها.

---

(١) الاستعارة مقاربة إدراكية، منتديات ستار تايمز، أرشيف اللغات واللهجات، شبكة الانترنت، ص١.
(٢) علم الدلالة الإدراكي، ٦٠.
(٣) مدخل إلي علم اللغة الإدراكي، مونيكا شفارتس، تر/ د. سعيد البحيري، زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠١٥، ص١٧٥.
(٤) المرجع السابق، ١٧٥.

٢. مرحلة التشكل المعجمي: يتضمن اختيار الوحدات المعجمية وتنشيطها التي ينبغي أن تعبر عن المضامين التصورية، أي الكلمات إلي لها قدرة على التعبير عن تلك المضامين.

٣. مرحلة الصياغة: حيث يتم الصياغة اللغوية مع مراقبة داخلية علي تلك الصياغة، ليتم إنتاج البنية النحوية في شكل جمل صحيحة، فتُرتب الوحدات المختارة في بنيته اللغوية.

٤. مرحلة التشفير الفونولوجي: يتم تخصيص الوحدات المعجمية فونولوجيا (صوتيا) فيتم اختيار الأصوات التي سننطق بها ليقع النطق بعد ذلك؛ بإنتاج حركي للتمثيل اللغوي[١] فينطلق الجهاز النطقي بتحريك أعضائه المختلفة ليحدث التمثيل الصوتي للوحدات اللغوية.

٢.٤.١ / نظرية ذهنية في إنتاج اللغة :

لابد من وجود نظرية تفسر كل ما يصدر عنا من أصوات، وما يسبقها من عمليات عقلية لإنتاج اللغة، وكيف تنقل تمثيلات عقلية (تصورات ذهنية) إلى أبنية لغوية نتواصل بها ؟

هذا العمل يتم وفق:

أ ـ عمليات تخطيط: تتم بالذهن عملية تخطيط لإدراك الفكرة وتخطيط لكيفية النطق بها .

ب ـ عمليات تنشيط: يتم تنشيط ذاكرة الفرد لاستخراج الألفاظ المناسبة من خزانته الذهنية.

٢.٤.٢ / تحليل عملية إنتاج الكلام كأصوات لها معنى :

إننا عندما نتكلم ننتج أصواتاً وبينها سكتات يكوِّنان معاً معاني الكلام، تتمثل في:

أ ـ الوقفات: سكتات ترد عند حدود الجملة لبيان حدودها، تم تحليلها في عملية إنتاج اللغة لبيان دورها في تكوين المعنى وذلك لارتباطها بالتعقد النحوي، فكان كثرة الوقفات يتبع التعقد التصوري للمنطوق؛ لأن الوقفات لا تقوم ببيان حدود الجملة فحسب؛ بل تقوم بعملية الفصل بين المعاني التي يمكن أن تتداخل لو لم نتوقف عند نهاية الجملة، فترتبها وتنظمها.

ويمكن بيان قيمة الوقفات بدقة في الكلام بإدخال جوانب اجتماعية اتصالية في تحليلنا، فالاتصالية هي عناصر تداولية، والاجتماعية عناصر تتصل بالمجتمع كالأعراف والثقافة .

ب ـ عناصر التأجيل: (مثل hm, وāh) ترد عند حدود الجملة، يستعين بها المتكلم لربط جمله وإجراء عمليات التذكر أثناء الكلام؛ ومطالبة المتكلم بمتابعة كلامه، وقد أطلق عليها ابن جني اسم هاء التذكر، فهي صوت الهاء الذي يصدره الفرد أثناء كلامه المتصل ليتذكر شيئاً ما كان قد نسيه أثناء عملية الكلام .

ج ـ الجملة: تعد وحدة تخطيط أساسية؛ يصنعها المتكلم ليصب فيها أفكاره كاملة.

د ـ المعلومة الزائدة: عندما نتكلم لا نخطط على المستوى التصوري لمنطوقاتنا بشكل تام قبل أن نصوغها وننطقها، بل نبدأ بالنطق دون أن يُمثل المنطوق تصورياً بشكل تام، وبينما ما نزال عند التخطيط التصوري، فإن استمرار الاستيعاب للوحدات التصورية الأولى يقع في المستويات اللاحقة، هذه العملية تفسر كيف نجد أحياناً معلومات غير مناسبة أو زائدة في منطوقاتنا التلقائية[٢] فيسبق نطقُنا تصورَنا، وعملية تخطيطنا التصوري لنستوعبه.

---

(١) المرجع السابق، ١٧٥.

(٢) مدخل إلى علم اللغة الإدراكي:، ١٧٧.

نموذج هرمان لإنتاج اللغة:

عرض هرمان تصوراً لعملية إنتاج اللغة وما تمر به من مراحل تصورية ودلالية، لقد فرق بين الأساس القضوي (pB) لمنطوق ما، والمدخل الدلالي (SI) للتشفير اللغوي لهذا المنطوق، ومع الأساس القضوي يتعلق الأمر بأجزاء معرفية محققة تعبر عما يقصد المتكلم حين يتكلم، والأساس القضوي ليس له طبيعة لغوية بل تصورية، بهذا المعنى يمكن أن يكون لمنطوقات في لغات مختلفة الأساس القضوي ذاته، ومن مجموع ما يقصد يختار المُدخل الدلالي لعمليات التشفير اللغوية[1].

إن رأي هرمان في عملية إنتاج اللغة جعل للأساس القضوي أي التصوري الفضل في عملية إنتاج اللغة، فهو يقوم على عملية إدراك لما حولنا من أشياء ومعارف، ثم تصورها، ومحاولة المتكلم التعبير عنها، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة تكوين الدلالة، لهذا فإننا نجد الأساس القضوي التصوري مشترك بين كل البشر، فيتصورن الأشياء التي حولهم بصورة واحدة للشيء الواحد، ثم تتكون الدلالة بناء علي ذلك الأساس، ثم يشفرونها لغويا حسب لغتهم.

ويكون اختيار الفرد للمدخل الدلالي للتعبير عن الشيء الذي يتصوره قائماً على أساس الجزء بدلاً من الكل، فيكون المدخل الدلالي جزاءً مختاراً من ذلك التصور الذي يتصوره للشيء (الأساس القضوي) فيقول المتكلم شيئاً عمَّا يقصده، لأنه يفترض أن السامع يمكن أن يعيد بناء المقصود (التصور القضوي) بناءً علي المنطوق؛ بإضافة معرفته العامة، فيختار المتكلم المدخل الدلالي (أي الكلمة التي سيعبر بها عن الشيء) بدقة، لأنه يعتبر هذه الكلمة من سيقوم بتبليغ ما يريده لسامعه، وهي أداته لمهمته فلا بد أن تحمل فكره كاملاً.

ويمكن تحقيق هذا المدخل الدلالي (أي الوصول للتعبير عن المعنى المقصود) من خلال منطوقات مختلفة يختار منها المتكلم ما يراه مناسباً لهذه العملية التبليغية، فيكون السؤال أي مدخل دلالي يختاره المتكلم للتعبير عن مقصوده ؟ إن هذا الأمر تتدخل فيه جوانب موقفية واتصالية؛ تفرض على المتكلم اختيار مداخل دلالية معينة ترتبط بالمكون العقلي لإنتاج اللغة الذي يسبق عملية التشفير اللغوي زمنياً ووظيفياً، فالمكون العقلي للمتكلم يقوم بدوره بتحديد المعنى المطلوب التعبير عنه؛ كمدخل دلالي أولاً بناء على عملية قضوية يتصور فيها المعني ثم يأتي اختياره للمنطوق، فهي عملية تسبق عملية التشفير اللغوي في الوظيفة، وتتم في زمن يسبق زمن اختيار المنطوق، إن هذا الأمر يصور الأساس الدلالي التصوري للإنتاج اللغوي والعوامل غير اللغوية التي تؤثر فيه.

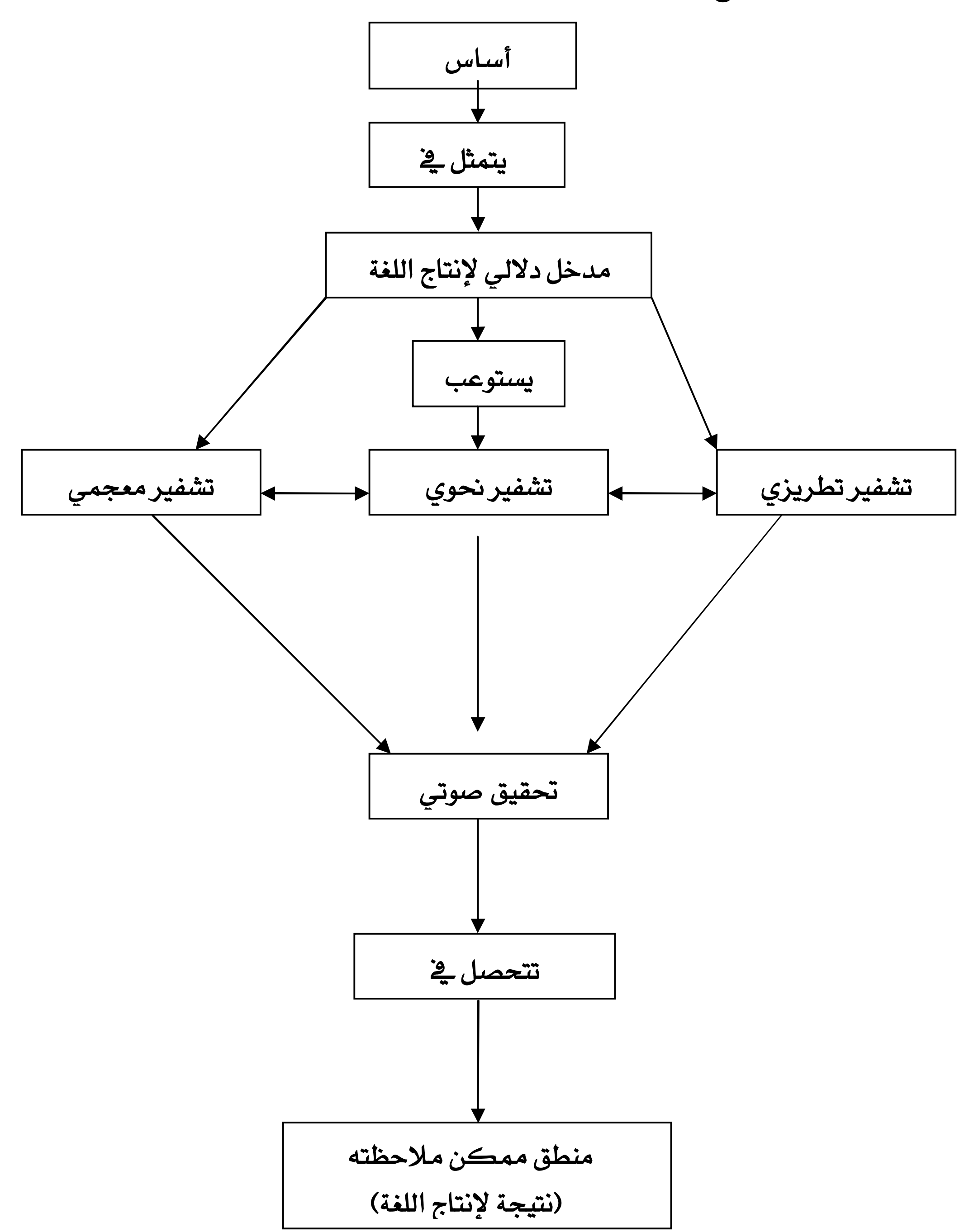
يأتي دور الإحالة بوصفها استراتيجية إنتاج متعلقة بالشريك والموقف، فاختيار المدخل الدلالي المناسب للتعبير عن الشيء يدخل ضمنه مكون آخر هو عملية الإحالة علي أشياء لتوضيحها؛ يقوم بها المتكلم لينقل رأيه للسامع (الشريك معه في هذا الحوار) بدقة، كذا الموقف الذي يحدث فيه هذا الحوار اللغوي، فيفسر هذا لماذا تأتي في كلام المتكلم كلمات زائدة (الخاصية الإضافية لإنتاج اللغة) ؟ تقول مونيكا: ثمة منطوقات تُظهر غالباً درجة عالية من الإطناب عند تسمية الشيء، هكذا يذكر متكلمون غالباً معلومات أكثر مما يحتاج السامع إلى تحديد/ أو تعيين موضوع الإحالة، وتبعاً لذلك ينطق متكلمون ابتداءً ما يمتلكون من ناحية إدراكية حسية أو عقلية أولاً [2].

---

(١) المرجع السابق، ١٨٤.

(٢) مدخل إلى علم اللغة الإدراكي، ١٨٤.

إن الإطناب عملية وصف لما يدركه المتكلم من الشيء المحسوس أو العقلي، حتى لو لم يكن هذا الوصف مطلوباً عند تسميته للشيء، فالمتكلمون يسمون غالباً ابتداءً لون شيء هدف، حين يمكن أن يصيروا متأكدين بسرعة للغاية برغم أنه ليست له وظيفة مميزة سياقياً، وتعرض مونيكا شفاريس رسماً يصور عملية إنتاج اللغة بمكوناتها ومراحلها:



٥.٢ / تسمية المتضايفين[١]:

يمكننا الاستعانة بمعطيات علم اللغة الإدراكي لمعرفة العمليات العقلية التي تصاحب عملية تسمية الأشياء عامة كعملية عقلية إبداعية، التي نراها هنا بوضوح من خلال باب الإضافة، فنرى عند

(١) مدخل إلى علم اللغة الإدراكي، ١٨٤.

التطبيق كيف تتم عملية تسمية المتضايفين كعملية عقلية إبداعية ؟ وكيف يعمل العقل البشري بكل قدراته اللغوية الإدراكية على إنتاج مركب اسمي جديد بالجمع بين كلمتين قد تكونان متنافرتين، ويبدع في ذلك العمل ؟

٢.٥.١ / الإحالة على أشياء في سياق الموقف الكلامي:

إننا كي ندرك الأشياء ونتفاعل معها نستعين بأشياء أخرى يحيلنا الذهن إليها، قد تكون لغوية أو غير لغوية، فظاهرة الإحالة تتعلق بشكل وثيق بالعملية الإدراكية لإدراك الشيء، فبواسطة ألفاظ اللغة وأشياء بيئتنا وعالمنا غير اللغوي التي نستند إليهم يمكننا أن نحيل عليهم، فتبدو صورة إدراك الشيء محصلة عمليات معقدة لمعرفة النموذج المطلوب إدراكه، لهذا فإدراك الشيء هو تحديد لأبعاده كمُثِير أثار مداركنا نحوه كنموذج لذات معينة نحاول أن ندركها، نحو "كتاب" تتكون من: ك. ت. ا. ب، كي ندرك الوجود الفعلي لهذه الحروف؛ لا بد أن نربط بينها كصورة للمثير الفعلي (كتاب) وصورته الممثلة بالعقل[1]، إنها عملية معقدة لإدراك عالمنا من حولنا يقوم فيها المرء بعمليات إحالة بألفاظ لغوية، وبأشياء غير لغوية من خلال نظام الإدراك الإنساني الذي يعد الأساس في عملية إنتاج اللغة بناءً على عملياته الإدراكية.

٢.٥.٢ / دور الإحالة في تسمية الأشياء:

عند إطلاق اسم جديد على الأشياء تقوم عمليات عقلية بإتمام ذلك فيُحدد اختيار المتكلم الكلمة بنوعين من الشروط الأساسية:

١ـ شروط موقفية: تشتمل على سياق الشيء أي المحيط الممكن إدراكه للمحال إليه المقصود في كلٍّ، والسمات الاجتماعية/ الاتصالية لموقف الإحالة الذي يُوصف من خلال البعد الاجتماعي بين المتواصلين، وكذلك روتينية الموقف الكلامي.

٢ـ شروط مميزة للأشخاص: تختص بقدرة المتكلم على إمكان إدراك أشياء وإمكان تمثيلها في مخططات إدراكية.

٢.٥.٣ / مراحل تسمية الشيء:

هذه العملية تفيدنا كثيراً في دراسة كيفية تسمية الاسمين المتضايفين؛ فنعرف كيف يقوم الإنسان باختيار أسماء للأشياء الجديدة التي تظهر في عالمه فيستعين بألفاظ اللغة، ليختار منها ما يصلح كمركب اسمي يجمع بين اسمين، من خلال دراسة العمليات العقلية المتتالية والمترابطة معاً، والتي تسبق هذا الاختيار، وتعد تسمية الشيء نتيجة عملية فصل إدراكية؛ فيفصل المتكلم بين سمات الأشياء عن طريق إدراكه لها فيختار منها ما يصلح اسما لها.

إن هذه العملية تمر بعدة مراحل نطلق عليها اسم" مراحل تسمية الشيء" هي مرحلة:

أ ـ يختار المتكلم ابتداءً سمة للشيء المقصود، التي بالنظر إليها يفترق الشيء الهدف عن سياق الشيء (أي الكم البديل للشيء) بعضه عن بعض، وفي ذلك تختص سمات بالأبعاد (مثلاً الحجم أو اللون أو الشكل) فتحتل فيها الأشياء مواقع (مثلاً الكرة الصغيرة الحمراء)، يختار السمة المميزة للشيء الذي نريد أن يسميه التي تعطيه بروزاً عن غيره؛ فتظهر أبعاده كمحددات مميزة له عن أقرانه (كاللون والحجم والشكل) كما في العبارة السابقة.

---

(١) مدخل إلى علم اللغة الإدراكي، بتصرف، ١٧٧.

ب ـ تحول هذه الأبعاد كمعلومات إدراكية حسية إلى لغة عند إطلاق اسم الشيء عليه، لتمكن السامع من إدراك مقصد المتكلم، نحو: الكرة الصغيرة الحمراء = شكل ـ حجم ـ لون، فالمتكلم يختار حسب مبدأ التحول اللغوي المتعلق بالشريك تلك التي تبدو له مناسبة للشريك[1]، أي يختار من اللغة التي يحيل إليها عند التسمية الكلمات المفهومة لدى السامع.

ج ـ ينشط المتكلم ابتداءً أجزاء من معرفته المختزنة في ذاكرة الزمن الطويل، وتكون معرفة العالم العامة الأساس لأن يستطيع المتكلم أن يحقق بوجه عام مقصداً اتصاليا؛ حيث يمكنه أن ينقل فكره من خلال تلك التسمية عن هذا الشيء إلى سامعه مستعيناً بكل ما سبق.

د ـ لاحظ هرمان: أن استعمال ألفاظ إحالية عند تسمية الشيء في ضوء جانب مرونة التسمية لمتكلمين أنه ليس لكل شيء اسم فقط؛ بل يمكن أن يُسمى بألفاظ لغوية كثيرة، فالكلب نفسه يمكن مثلاً حسب مقصد المتكلم أن يسمى كليباً أو كلباً قصير القوائم أو كلباً ضالاً [2]، ويأتي هذا التعدد في اسم الشيء من تعدد السمات المميزة له وعلاقته بالوسط المحيط، وكذلك تعدد عقول المتكلمين المبدعين وطريقة إدراكهم للحيوان وعلاقتهم به، فيصبح الاسم معبراً عن كل تلك الأشياء، كما سنرى في الإضافي.

٤.٥.٢ / المعجم العقلي ودوره في عملية التسمية:

عند تسمية الشيء يجب دراسة المعجم العقلي داخل المتكلمين، لأنه الذي يمدهم بالألفاظ المناسبة للتسمية من خلال عملية تنشيط وتنظيم وفصل معجمية يقوم بها المعجم العقلي، لذا يعد المعجم العقلي الخازنة التي يأخذ المتكلم مُدخلا إليها دائماً قبل أن يتكلم أو في أثناء ذلك، وحسب الفرضية المعجمية يكون المعجم وسيطاً بين تشكُّل تصوري وتشفير نحوي أو فونولوجي، وبذلك تحدد عمليات الصياغة معجمياً في عملية إنتاج اللغة، وحتى يمكن تفسير عملية إنتاج اللغة؛ يجب لذلك أن تراعى فروض بنية المعجم العقلي وتنظيمه، وتعد العلاقة بين تنظيم هذه الخازنة وعمليات التنشيط اللغوية ذات أهمية لعلم اللغة الإدراكي[3].

٦.٢ / الإبداع الدلالي في المتضايفين

مع المرحلة السابقة (المعجم العقلي) يتجه المتكلم إلى معجمه الذهني ليختار منه الألفاظ المناسبة ليعبر بها عن الأساس القضوي لما يتصوره في ذهنه أو عَنَّ له من صور وأفكار، في هذه اللحظة نجد المتكلمين يتفاوتون في اختيارهم للألفاظ التي تعبر بدقة عن فكرهم، لهذا نجدهم يبدعون في اختيارهم؛ ليعبروا من خلال لفظين متضايفين عن معان جديدة، وتدخل في ذلك عمليات عقلية يصبح العقل هو المبدع، لهذا يجب دراسة الإبداع والمبدع.

١.٦.٢ / الإبداع:

الإبداع (الابتكارcreativty): هو القدرة على اكتشاف علاقات جديدة أو حلول أصيلة تتسم بالجدة والمرونة ويسمى الإبداع، وخيال إبداعي (creative imagination) توارد حر للصور الذهنية والأفكار، أو نمط جديد لها يفيد في حل مشكلة ما[4]، لقد أوضح هذا التعريف جانباً هاماً في عملية الإبداع وهو ابتكار حلول واكتشاف روابط جديدة وعلاقات بين الأشياء، فهو خلق لتصورات جديدة لم تكن موجودة من قبل في ذهن المتكلم.، ولا المبدع حتى يبدعها.

---

(١) المرجع السابق، بتصرف، ١٨٣.
(٢) مدخل إلى علم اللغة الإدراكي، ١٨٣.
(٣) مدخل إلى علم اللغة الإدراكي، ١٨٦.
(٤) معجم النفس والتربية، ج١، ص٣٧، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٤ .

ويقول د. حنورة: إن عملية الإبداع هي نشاط نفسي، والنشاط النفسي هو مجموعة من الظواهر السلوكية التي تصدر عن الفرد كرد فعل واستجابات علي منبهات تصدر إليه من البيئة (سواء كانت داخلية أو خارجية)، النشاط النفسي إذن مجموعة الاستجابات، قد تكون استجابات حركية أو ذهنية أو لغوية[١]، هذا يعني أن هناك مثير واستجابة تنطلق من داخل الفرد أو خارجه كنشاط نفسي يعبر عن استجابته لمثير حركي أو ذهني أو لغوي.

الإبداعية: creative: قدرة على إنتاج فكرة إفصاحية بشكل ملحوظ أو على إنجاز إنتاج (... نص أدبي أو علمي ...) يكون مجدداً وغير متوقع يتلاءم مع الوضع ويعتبر ذا قيمة[٢].

٢.٦.٢ / كيف تتم العملية الإبداعية ؟

يكمن الطابع التجديدي في العملية الإبداعية ذاتها، أي أن عملية الإبداع في حقيقتها هي عملية تجديد؛ ذلك لأنها خلق جديد علي غير نموذج ، ويمكن تحليل هذه العملية في أطر شتى:

أ ـ عوالم صغري مبنية اصطناعياً: بحيث تتيح مرونة في الأفعال وتحكماً في الإجابات الممكنة، أي بروز مفاهيم جديدة تتم بانزياحات مفهومية[٣]، فالإبداع يبدأ بظهور عوالم صغيرة لدى المبدع تأتيه في شكل مفاهيم جديدة تصل إلى ذهنه؛ فتزيح مفاهيمه القديمة.

ب ـ عمليات معرفية توليدية: تنطلق من ظروف متخيلة وتصل إلى نشاطات في التصميم تمكن من دراسة الإبداعية المتعلقة بالخبرة في مجال معين[٤]، هذا يعني إن العمليات المعرفية التي يكتسب من خلالها الفرد مهارة أو خبرة هي ذات طبيعة توليدية، أي لديها قدرة علي النمو والتوليد من خلال الخبرات المكتسبة في إطار ظروف معينة لدى المبدع.

ج ـ الإبداعية: تعتبر قدرة متعددة الأبعاد بالإضافة إلى الجوانب المعرفية.

٣.٦.٢ / المبدع :

وصف الإبداعية أحياناً بأنها خاصة ببعض الأشخاص، وأنها ناجمة عن عمليات فكرية اعتيادية في ظروف حل المشاكل اليومية، الفكرة الأكثر شيوعاً تقول: إن الكائنات البشرية قادرة كلها على طرح أفكار إبداعية حتى ولو كان البعض أكثر إبداعاً من غيرهم[٥].

هذا القول الأخير يبين أن كل إنسان قادر على الإبداع؛ كلٌ في مجال عمله؛ ولو كان بائعاً في السوق فإنه قادر على أن يبدع عبارات لم نسمع بها من قبل؛ يشهر بها عن سلعته، تصدر منه بصورة عفوية غير متوقعة، تلك الصفة الأخيرة هي لب عملية الإبداع (غير متوقعة)، يقتضي التكلم عن الإنتاج الإبداعي أن تحظى المنظومة المعلوماتية بنوع من الاستقلالية وأن تكون النتيجة التي يفضي إليها ليست تجديدية فقط وذات قيمة، بل غير متوقعة أيضاً[٦]، وهنا يكون الإبداع بأن يفاجئ المبدع سامعه بأشياء جديدة لم يتوقعها منه.

٧. اللغويات العصبية :

يعرف قاموس حديث (هانك Hank 1986) اللغويات ـ العصبية على أنه: فرع من اللغويات يتعامل مع ترميز المقدرة اللغوية في الدماغ، ويكون التركيز الأساسي فيه على دراسة اللغة بعد أن يصاب الدماغ

---

(١) الأسس النفسية للإبداع الفني في الرواية، د. مصري حنورة، الهيئة المصرية للكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٧٩، ص١٣.
(٢) قاموس العلوم المعرفية، غي تيبرغيان وآخرون، تر/ جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٣، ص١٦٥.
(٣) المرجع السابق، ١٦٥.
(٤) المرجع السابق، ١٦٥.
(٥) المرجع السابق، ١٦٦.
(٦) قاموس العلوم المعرفية :١٦٧.

بعطب، فإنه من السهل الآن دراسة بعض جوانب الوظيفة اللغوية في الأدمغة السليمة، ويحاول علم الأعصاب دراسة كيفية ربط الوظيفة العصبية بالسلوك من خلال إثارة الأدمغة اللا بشرية أو القيام ببعض الضرر المسيطر عليه تماماً عليها. وفي الواقع فإن إحدى اهتمامات اللغويين العصبيين تتمثل في تبرير استنتاجاتهم من سلوك الناس معطوبي الدماغ، وتعميمها على الناس الذين لا يعانون من أي خلل دماغي، وبذلك يمكن استخدام دليل من علم الأمراض والقيام بعمليات حول كيفية ترميز اللغة في الدماغ نفسه[1].

إننا أمام علم جديد هو علم الأعصاب اللغوي الذي يتناول بالدراسة كل العمليات التي تتم في العقل لصالح اللغة ودراسة المقدرة اللغوية، وهناك دراسات تناولت بناء الجهاز العصبي وما يحدث فيه من عمليات فهم وتفسير وتشفير للغة، لكنني أكتفي هنا بتناول جانباً من هذا الجهاز العصبي؛ هو الناقلات العصبية ودورها في عملية فهم وإفهام الرسائل اللغوية بين المتكلم والسامع فقط، ثم أبين دورها في اختيار الألفاظ اللغوية المناسبة للحدث الذي يتم فيه تسمية الشيء بمركب إضافي .

١.٧ / الناقلات العصبية:

١.١.٧ / تعريف الناقلات العصبية:

هي عبارة عن مواد كيميائية موجودة في منطقة ارتباط خلية عصبية بخلية عصبية أخرى، وتنظم هذه المواد الإشارة العصبية القادمة من الدماغ أو متجهة إلي الدماغ، وتتكون هذه المواد الكيميائية في منطقة تدعى ما قبل منطقة التشابك بين خليتين، وتقوم بإرسال الإيعازات إلى منطقة ما بعد التشابك بين الخليتين، وعندما يصل إيعاز معين من الدماغ إلى نهاية خلية عصبية يتحفز الآلاف من ناقلات الإرسال العصبية لتقوم بنقل الإيعاز إلى منطقة ما بعد التشابك مع الخلية العصبية المجاورة، حيث تقوم بالاتحاد مع مستقبلات موجودة في الخلية العصبية المجاورة وبعد انتهاء مهمة التحفيز، أو منع التحفيز التي قامت بها أي من ناقلات الإرسال العصبية تقوم أنزيمات معينة بالتخلص من ناقلات الإرسال، فيتم إرجاعها إلى مكانها الأصلي في منطقة ما قبل التشابك مع الخلية العصبية المجاورة كي لا تستمر في الإيعاز"[2].

٢.١.٧ / وظائف الناقلات العصبية:

لكل ناقلة إرسال عصبية وظيفة خاصة تقوم بها؛ يتم عن طريقها نقل الرسالة الإدراكية إلى العقل الذي يحل شفرتها ويفهمها ويتفاعل معها، لذا تختص كل مادة كيميائية بنقل إدراك معين خاص بمعلومة ما إلى العقل وتحفيزه ليشعر بها ويُفَعِّلُها، فعلى سبيل المثال:

١. استيل كولين: تقوم بتحفيز العضلات الإرادية على التقلص.
٢. السيروتونين: تقوم بمهمة شعور الإنسان بالطمأنينة النفسية.
٣. الدوبامين: تقوم السيطرة على تناسق حركة الإنسان.
٤. الإدرينالين: تقوم بتحفيز الجهاز العصبي الودي وتهيأ الجسم لمواجهة الخطر الخارجي.
٥. حامض كاما امينوبيوتيريك: يقوم بمنع تحفيز الخلايا العصبية .
٦. حامض الكلوتاميك: يقوم بتحفيز التعلم وتنشيط الذاكرة.
٧. الكلايسين: تقوم بمنع تحفيز الخلايا العصبية.

---

(١) اللغويات العصبية، روث ليسر، ص٥٤٨، موقع بشبكة الإنترنت www.pdffactory.com.www.
(٢) الناقلات العصبية، Salah Hamouda، شبكة الانترنت.

٨. الميلاتونين: يقوم بتنظيم النوم وفاعليات أخرى[١].

هذا البيان السابق لوظائف الناقلات العصبية ضروري لفهم عمليات الإدراك التي تتم في العقل وتحديد نوعها بناءً علي الحامض الذي ينقلها ، ويحمل شفرتها اللغوية التي تأتي مع تلك الرسالة العصبية من مراكز الإدراك الداخلية أو الخارجية ، وبناءً على ذلك يتم بناء الأساس القضوي التصوري الصحيح لها؛ ثم الأساس الدلالي (تصور المعنى)، ثم اختيار الكلمة المناسبة من المعجم الذهني، ثم يأمر العضلات المتحركة لتصدر أصوات الكلمة.

٢.٧ / دراسة تطبيقية لكيفية تسمية المتضايفين في ضوء علم الدلالة الإدراكي :

يمكن من خلال معطيات علم الدلالة الإدراكي القيام بدراسة تطبيقية نرى فيها:

١. كيف تنشأ تسمية الأشياء ؟

٢ . ما العمليات العقلية المصاحبة لها ؟

٣ . ما المراحل التي تمر بها تلك حتى تنتج لنا اسماً جديداً غير متوقع لهذا الشيء ؟

٤ . ما العملية الإبداعية التي أنتجت لنا هذا الجديد ؟ وكيف تم ذلك ؟

نحاول أن نجيب على ذلك كله من خلال مركب اسمي واحد هو "المتضايفان" فعملية إطلاق اسم مركب على شيئين بغرض الجمع بينهما؛ لإنشاء معنى ثالث لم يُذكر مطلقاً في الشيئين في حالة عزل كل منهما ، تعد عملية عقلية إبداعية جمع فيها المتكلم بين سمات الشيء الأول وسمات الشيء الثاني، وبحث فيهما عن سمات تجمع بينهما عن طريق فرز تلك السمات، وما يصاحب ذلك من عمليات عقلية دخلت فيها عناصر مختلفة من البيئة والإحالة والسمات الشخصية والنفسية للمتكلم والسامع تم مراعاتها عند إطلاق الاسم الجديد على الشيء . ذكرناها من قبل . ونذكر هنا مثالاً ونحلله ليوضح هذه العمليات العقلية.

مثال :

وقف أكرم محاوراً عمراً ، وصف كل منهما أشياء بصفات وأطلق عليها أسماء، انطلقت الأسماء من بيئة واحدة يعرفانها كل منهما بكل مكوناتها وأحداث تاريخية مرت بهما.

فقال عمرو: هل قابلت **ابن عمك** ؟

قال أكرم : لا فهو من **أصدقاء الشيطان**.

فقال عمرو: لا هو ليس كذلك.

فقال أكرم : أتذكر **أم المعارك** التي كانت بيننا ؟

فقال عمرو: إنني أحب **أسد الله وسيف الله**؛ فهما بطلان جاهدا في **سبيل الله**.

فقال أكرم: أطلق **رسول الله** ﷺ الاسم الأول على عمه "حمزة"، والثاني على القائد العسكري العظيم "خالد بن الوليد".

قال عمرو: أتدري لماذا سماهما الرسول الكريم بهذا الاسم ؟ وما العمليات العقلية المصاحبة للتسمية في ذهنه ﷺ حتى يطلق عليهما هذين الاسمين ؟

تحليل الحوار:

لنحاول تحليل هذا الحوار والعلاقة الدلالية بين متضايفيه؛ في ضوء علم الدلالية الإدراكي: (أصدقاء الشيطان . ابن عمك . أم المعارك . أسد الله . سيف الله . سبيل الله . رسول الله).

(١) الناقلات العصبية، Salah Hamouda، شبكة الانترنت.

أصدقاء الشيطان:

أصدقاء: كلمة تجتمع فيها كل معاني النبل والأخلاق وتشع بسمات من هذا المجال الدلالي.

الشيطان: كلمة تحمل كل معاني السوء وكل ما يبغضه البشر، وتشع منها تلك السمات.

كل هذه السمات المتنافرة مخزنة في ذاكرة المتكلم؛ استحضرها من ذهنه لحظة الحوار.

المعني الإبداعي الجديد: أنه شرير؛ على الرغم من أنه لم ينطق لفظة شرير بل فُهم منها.

تحليل عملية الإبداع: قام ذهن المتكلم بعملية فرز للسمات الخاصة بكل لفظ منهما، وبناء صورة له في فضائه الذهني؛ ليبنى تصوراً واحداً للصفات المتنافرة، ثم جمع بينهما بعد الرجوع إلى معجمه الذهني لاختيار اللغة، وتحول التصور الذهني إلى تشفير لغوي، ليُنتج مركباً اسمياً، جاء في صورة متضايفين عن طريق عملية إبداعية لخلق هذا المركب، ثم إعطاء الأمر لأعضاء النطق من خلال الأعصاب الحركية، فتُحرك تلك الأعضاء مصدرةً سلسلة صوتية تمثل مجموع الأصوات المعبرة عن هذا المركب الجديد (أصدقاء الشيطان) الذي يسمى المضاف والمضاف إليه، كل هذا تم بسرعة البرق، ولا ندركه إلا بالتحليل. هذا التحليل يمكن قوله على سائر التراكيب الإضافية التي جاءت في الحوار السابق.

الإبداع: جاء في الحوار مركبات إضافية جديدة تنم عن إبداع كبير نحو: (أسد الله: حمزة عم النبي، سيف الله: خالد بن الوليد، سبيل الله) وكل رأس إضافة يشير إلى شيء مختلف: اسم حيوان، واسم آلة حادة، اسم مكان (السبيل بمعنى الطريق)؛ فهم يشيرون إلى سمات مختلفة تنتمي إلى خصائص حيوان والآلة وطريق، أُضيفوا إلى الذات الإلهية فاكتسبوا الجلال والعظمة والقوة من إضافتهم إلى اسم الله سبحانه وتعالى، ولكن هذا التركيب الإضافي يصح أن نطلقه على كل حيوان وكل آله وكل طريق فكل شيء ملك لله، لكن المتكلم يبدع بتوظيفهم في مجالات جديدة فيسمي بهما شيئاً ثالثاً ليس حيواناً ولا سيفاً ولا طريقاً؛ بل على إنسان اسمه حمزة بن عبد المطلب وإنسان اسمه خالد، وعلي نوع من الجهاد ليصف هذه الأشياء بصفات جديدة لم يذكرها في المركبين الإضافيين، وهي صفات العظمة والجلال.

فكيف تم ذلك ؟ لقد أبدع المتكلم من هذا المركب دلالات جديدة حين وظَّفه في مجال جديد وهو إطلاقه علي مجال آخر على أساس رابط استعاري، وهنا تبدو لنا قيمة الإبداع في خلق دلالة جديدة؛ وظف فيها مركباً لغوياً يشير في أصل معناه إلى حيوان (أسد) أو آلة (سيف) أو طريق؛ ليفاجئنا بإطلاقه على إنسان أو طريق.

وكان المبدع الأول لهذا التركيب وتوظيفه هو المبدع العظيم رسول الله ﷺ؛ فهو أول من أطلق عليهم هذا الاسم فجمع في ذهنه كل السمات الانتقائية المميزة لهذا الحيوان (الأسد) من القوة والشجاعة إلى جانب سماته الحيوانية الأخرى فاختار منها صفات تناسب الإنسان (القوة والشجاعة)، وجمع في ذهنه السمات الانتقائية لهذا الإنسان (حمزة) فاختار أبرزها في حمزة (القوة والشجاعة) فجمع بين السمات الانتقائية المتفقة وموجودة في الإنسان والحيوان معاً في المركب الإضافي (أسد الله) ليكون اسماً له، فإذا قلنا: أسد الله كان المعنيِّ به ومقصود المتكلم يتجه إلى إنسان اسمه الحقيقي (حمزة)، وكذا فعل في تسمية خالد بن الوليد، وفي سبيل الله التي تعني الجهاد من أجل الله.

أثر البيئة: لكي تتم عملية الإبداع لابد أن تحضر بيئة المتكلم في ذهنه؛ ليكون لها دورها في تكوين التصور داخل ذهن المتكلم، وتمثلت بيئته في اختياره كلمة: أسد وسيف وسبيل.

كيف تم ذلك في ضوء علم اللغة العصبي ؟

لقد أثار إدراك الرسول الكريم ﷺ ما رآه بعينه وسمعه بأذنه من بطولات لكل من خالد بن الوليد وعمه حمزة، فوصل إليه من خلال حاستي السمع والبصر ذلك الإدراك، فتم تحفيز ناقلات الإرسال العصبية فقامت بنقل الإيعاز من مصدر الإدراك الخارجي (الأذن . العين) إلى الخلايا العصبية المجاورة لتتحد مع المستقبلات الموجودة في الخلية العصبية المجاورة فتنقل هذا الانفعال من خلية عصبية إلى أخرى، وتستمر عملية الانتقال من خلية عصبية إلى أخرى حتى تصل تلك الرسالة إلى الذهن حاملة معنى الشعور بالقوة والشجاعة والفخر، إلى داخل ذهن الرسول الكريم ﷺ؛ ذلك لأن في أصحابه من مثل حمزة وخالد.

فبدأ الأساس القضوي التصوري ببناء تصور في ذهن الرسول الكريم ﷺ وصل إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه مخلوق في القوة والشجاعة مستلهما بيئته وما فيها من مصدر قوة وشجاعة، فما وصل إلى عقله في هذه اللحظة بتأثير من بيئته ومعجمه العقلي وما في ذاكرته؛ هو صورة الأسد والسيف والسبيل، فالأول يمثل في العقل أعظم صورة للشجاعة فاختارها لتمثل معنى مجرد (الأسد = الشجاعة)، والثانية تمثل أعظم صورة للقوة فاختارها لتمثل معنى مجرد (القوة = السيف)، والثالثة تمثل أعظم صور الاستقامة والوضوح فاختار لها كلمة سبيل، ثم تحول الأمر من مجرد تصور ذهني في البنية التصورية إلى بناء دلالي وتم البحث لذلك التصور، وهذا المعنى عن لفظ يمثّله في معجمه الذهني؛ فاختار كلمة أسد وسيف وسبيل.

ثم بحث في عقله عن لفظ آخر يضيفه إلى المعنى السابق؛ ليعبر عن قمة المبالغة في هذا المعنى، فيضيف إلى القوة والشجاعة أقصى ما يصل إليه المتكلم في وصف إنسان ما بهذه الصفات، فلم يجد أعظم ولا أقوي من إسناد تلك الصفات المتمثلة في أشياء هي رموز القوة في ذهنه (أسد . سيف . سبيل) إلى مالكها ومالك كل قوة وشجاعة وهو الله سبحانه؛ فاختار من التراكيب النحوية ما يمثّل ذلك، فلم تقنعه التراكيب الوصفية ولا غيرها، فاتجه إلى التركيب الإضافي، فالأصل في الإضافة الامتلاك فهي تعطى معنى الامتلاك للمضاف إليه فيصبح المضاف ملكاً له، فيكتسب من المضاف إليه الجلال والعظمة والقوة بإضافته إلى مالك القوة والشجاعة سبحانه وتعالي الذي لا حول ولا قوة إلا به، فأنتجت تلك العملية العقلية هذا التركيب الإضافي (أسد الله ـ سيف الله ـ سبيل الله) ليطلقه على رجلين من أقوى وأشجع الصحابة ـ رضوان الله عليهم جميعاً ـ وعلى الجهاد ابتغاء وجه الله، فانظر كيف صُنِع المعنى في عقله الشريف، وما العمليات التي تمت فيه حتى يصل إلى هذا التركيب الإضافي الذي قام على عملية استعارة ذهنية إبداعية.

الفصل الثاني

معنى الإضافة عند القدماء والمحدثين

تناولنا في الفصل السابق العمليات العقلية التي تحدث في عقل المتكلم حتى ينتج لنا مركباً إضافياً، وكيف نوظفه في تسمية الأشياء ؟ وكيف نبدع في توظيفه في مجالات جديدة لا يتوقعها السامع منه ؟ إنه عنصر المفاجأة الذي يخلقه المتكلم المبدع ويفاجئ السامع به، ولكي يكون انطلاقنا صحيحاً لا بد أن نرى ماذا قال القدماء والمحدثون عن معنى الإضافة ؟

أولاً: معنى الإضافة عند القدماء:

درس القدماء قضية الإضافة من جوانب مختلفة كمركب اسمي له طبيعة خاصة ودلالات متعددة، ولكني سأدرس هنا جانب دلالة الإضافة عندهم فقط.

معنى الإضافة:

قال ابن عقيل[1]: الإضافة تكون بمعنى اللام عند جميع النحويين، وزعم بعضهم أنها تكون أيضاً بمعنى (مِن) أو في، وضابط ذلك: أنه إن لم يصلح إلا تقدير(مِن) أو(في) فالإضافة بمعنى ما تعَّين تقديره، وإلا فالإضافة بمعنى اللام فيتعين تقدير(مِن) إن كان المضاف إليه جنساً للمضاف، نحو: هذا ثوب خّز وخاتم حديد، والتقدير: هذا ثوب من خز وخاتم من حديد، ويتعين تقدير (في) إن كان المضاف إليه ظرفاً واقعاً فيه المضاف، نحو (أعجبني ضرب اليوم زيداً) أي ضرب زيد في اليوم ... فإن لم يتعين تقدير (من) أو (في) فالإضافة بمعنى اللام نحو (هذا غلام زيد، وهذه يد عمرو) أي غلام لزيد ويد لعمر[2].

من هذا يتبين أن الإضافة عندهم هي: الاستغناء بالمذكور لينوب عن المحذوف الذي قدروه باللام أو من أو في بين كلمتي الإضافة، وهذا التقدير جاء لبيان المحذوف الذي يتم به بيان قصد المتكلم ومراده، وتقديرهم اللام كأصل لكل إضافة بيَّنَ مفهوم مصطلح الإضافة عندهم، وهو الملكية، فـ (يد زيد) قدروها بـ (يد لزيد) تأكيداً لملكية زيد لليد.

أنواع الإضافة:

الإضافة عند القدماء علي قسمين: محضة وغير محضة:

غير المحضة: هي إضافة المشابه للفعل المضارع إلى معموله وهذه لا تفيد الاسم الأول تخصيصاً ولا تعريفاً .

والمحضة: هي غير إضافة المشابهة للفعل المضارع إلى معموله، وتفيد الاسم الأول: تخصيصاً إن كان المضاف إليه نكرة، نحو: هذا غلام امرأة، وتعريفاً إن كان المضاف إليه معرفة، نحو: هذا غلام زيد[3].

يقوم هذا التقسيم للإضافة عندهم على العلاقة الدلالة بين الكلمتين؛ فإمِّا أن تكون علاقة دائمة فلا ينفلت عنها "إضافة محضة" فتكون العلاقة بين الكلمتين قوية ليست على نية الانفصال، فتكون الكلمة الأولى إمِّا اسماً جامداً أو مشتقاً شبيهاً بالجامد وغيره مما ذكره النحاة، نحو: حُسْن الكلام، يد زيد، أشهر الشعراء. وهذا كله يُؤَّوَّلُ على معنى الملكية فالمضاف إليه يمتلك المضاف.

إن العلاقة الدلالية الناتجة عن هذه الإضافة هي: إما إفادة التخصيص: فقد فهمنا أن هذا الغلام ملك خاص بهذه المرأة في "هذا غلام امرأة"، أو التعريف: فقد تم تعريف الغلام بتحديد مالكه؛ مما جعله معرفاً في "هذا غلام زيد"، فالإضافة فيهما محضة.

---

(١) لم أتطرق إلى حديث النحاة حول الإضافة، واقتصرت على ابن عقيل كنموذج للقدماء، لأن هدف الدراسة بيان دلالة الإضافة فقط.
(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ج٣، ٤٣ – ٤٤، دار الفكر، القاهرة، بدون تاريخ.
(٣) المرجع السابق، ٤٤، بتصرف.

أما غير المحضة: فتكون على نية الانفصال حيث المضاف يعمل عمل الفعل ويغير موقعه من الجملة، فيحمل بذلك دلالات أخرى في تراكيب جديدة، وقد عرفه الأستاذ عباس حسن بأنه: ما يغلب أن يكون فيها المضاف وصفاً عاملاً دالاً على الحال أو الاستقبال أو الدوام، ويسمى بالشبيه للفعل المضارع في العمل والدلالة الزمنية " وينحصر في اسم الفاعل واسم المفعول" [1].

إن العلاقة بين المضاف والمضاف إليه تقوم علي ربط بين كلمتين لإنتاج مركب اسمي مكون منهما يشير إلى شيء واحد كما في (يد زيد، أو كتاب عمرو) فالمقصود من ذلك يد واحدة معينة ومحددة يد زيد وكذلك في كتاب زيد، فغاية الإضافة زيادة تحديد للكتاب ببيان صاحبه، وهو معنى الملكية وهو المعنى المقصود من الإضافة. لقد تناول النحاة جانبين من معاني الإضافة:

الإضافة المعنوية: وتقوم على تقدير الرابط بين الكلمتين بحرف من حروف الجر، وتحديد نوع هذا الحرف حسب ذلك التقدير. فقد قام هذا على أساس معنى الحرف المقدر، وتم المزج بين الكلمتين ليكونا معاً مركباً اسمياً بحذف هذا الحرف، ويمكن تحديد الحرف المحذوف من خلال معنى الكلمتين المتضايفتين وعلاقتهما معاً.

الإضافة اللفظية: يكون فيها المضاف وصفاً (اسم فاعل أو اسم مفعول أوصفة مشبهة) والمضاف إليه معمولاً لذلك الوصف نحو: هذا ضارب زيد الآن أو غدا، هذا معمور الدار الآن أو غدا، هذا رجل حسن الوجه، وتسمى إضافة لفظية لأنها تفيد وصفاً مؤقتاً غير دائم للمضاف إليه، يقول د. محمد حماسة: إن المصطلح الخاص بهذا الضرب من الإضافة "الإضافة اللفظية" يشير بوضوح إلى أن الإضافة إنما هي إضافة في اللفظ المنطوق فقط، ولكنها بحسب المعنى أو العمق ليست إضافة، ويشير أيضاً إلى أن هذا التركيب يكتسب معناه من عمقه لا من سطحه[2].

هذا القول يعني أن الإضافة هنا ليست إضافة حقيقية؛ بل جاءت بناء على ما فرضته أبنية النحو العربي من اعتبارهما كالمتضايفين من حيث الإعراب، لهذا سُميت بالإضافة غير المحضة، حيث الإضافة التي تظهر هنا في النطق لم تعطنا معنى الالتصاق في أصل معنى هذا التركيب (هذا ضارب زيد غدا) أي في عمقه؛ كما نفهمه من كلمة إضافة.

الخلاصة :

إن حديث القدماء حول معنى المتضايفين يتمحور حول نقاط محددة هي :

١) أسماء الإضافة وأنواعها: محضة أو معنوية، أو غير محضة أو لفظية .

٢) العلاقة بين المضاف والمضاف إليه: منفصلة أو متصلة، أي دائمة أو مؤقتة، محضة وغير محضة، هذا الجانب يمثل الجانب الدلالي في القضية، وإن كان يمثل جزءاً صغيراً من دراسة القدماء؛ إلا أنه قد أخذ جانباً كبيراً في دراسة المحدثين، فقد قاموا بإيضاح العلاقة الدلالية بين المتضايفين، التي ستفتح الباب أمام تحليل مركبات إضافية كثيرة ستوظف دلالياً في مجالات عدة تسد ثغرات في اللغة، حيث يقوم المركب الإضافي الذي أبدعناه بمد المعجم العربي بما يحتاجه من دلالات جديدة تعجز عن إيجادها الكلمات المنفردة، لذا يمكن تصور التركيب الإضافي عند النحاة كما في هذا الشكل :

---

(١) النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف بمصر، ط٤، ١٩٧٦، ج٣، ص٦.

(٢) من أنماط التحويلية في النحو العربي، د. محمد عبد اللطيف حماسة، الخانجي، ط١، ١٩٩٠م، ص٤٨.

أنواع التركيب الإضافي عند القدماء

أ) محضة: خالص من نية الانفصال
تسمي: الإضافة المعنوية على
تقدير (من ـ في ـ اللام)
تفيد تخصيصا أو تعريفا:
١ـ تخصيصا: ٢ـ تعريفا:
المضاف إليه نكرة ❖❖المضاف إليه معرفة
(هذه دار رجل) (هذه دار الرجل)

ب)غير محضة :علي تقدير الانفصال
تسمي: الإضافة اللفظية، وهي إضافة
(اسم فاعل ـ مفعول ـ صفة مشبهة)
لا تفيد تخصيصا ولا تعريفا
المضاف إليه مع أل :
١ـ لا تدخله أل.
٢ـ يجوز دخول أل: هذا الضارب الرجل

ثانياً: معني الإضافة عند المحدثين:

مفهوم الإضافة عند الفاسي الفهري:

تناول المحدثون الإضافة من منطلق جديد يقوم على أساس عقلي سليم مستلهم من الفكر القديم، هذا الفكر الجديد يفتح آفاقاً جديدة لفهم أكبر لعملية الإضافة، وصورة أرحب مما رأيناه لدى القدماء، فتبدو العلاقة بين المتضايفين بصورة أوسع لتشمل كل اللغات الطبيعية، إنه مفهوم ينطلق من نظام أعم وأشمل؛ لذا يجب عرضه وتحليله ومحاولة الإفادة منه لفهم قضية أكبر من المنتج (من كلمتي الإضافة والعلاقة بينهما)، وهو قضية الجانب الإبداعي في اللغة وما يصاحبها من عمليات عقلية للوصول إلى منتج جديد، فنرى كيف يعمل العقل في هذا الجانب؟ فينتج ما لم نسمع به من قبل من تراكيب إضافية ذات دلالات جديدة مستلهمة من أمور حياتنا الحديثة.

يُعرف د. عبد القادر الفاسي المتضايفين ويبين العلاقة بينهما قائلاً: يقيم المركب الإضافي علاقة بين عنصرين اسميين أساسيين في تكوينه، فالعنصر الأول أي رأس المركب هو المضاف، والعنصر الثاني أي الفضلة وهو المضاف إليه، وبما أن العنصر الأول لا ينُّون والثاني يكون مجروراً؛ فإن العلاقة الإضافية تكتسب بذلك سمات تفرزها عن علاقات أخرى ممكنة بين اسمين متتاليين، من بينها علاقة البدلية وعلاقة التمييز، ورأس المركب يأخذ الإعراب المسند إلى المركب بأتمه، وذلك في علاقته بالوظيفة التي يشغلها، أما الفضلة المجرورة فتشغل وظيفة المالك (possessor) أو مض، وتوافق هذه الوظيفة النحوية أدواراً دلالية مختلفة تمثل العلاقة بين المضاف والمضاف إليه:

١- ملكية : كتاب زيد.
٢- احتواء: فنجان قهوة.
٣- مكان: أمير القفار.
٤- شكل ومادة: خاتم ذهب.
٥- منفذ وضحية: قاتل السجين[1].

يشير الفاسي إلى خصائص البنى الإضافية التركيبية والإعرابية وأسماء مكوناتها، ثم ينطلق إلى بيان العلاقة التي تربط بين المتضايفين، فهي إمَّا علاقة ملكية فيكون الأول ملكا للثاني، أو علاقة احتواء فيكون الأول محتوٍ للثاني، أو علاقة مكانية فيكون الأول مرتبطا بالثاني بعلاقة مكانية، أو تكون العلاقة بينهما رابطة بين شيئين:

---

(١) اللسانيات واللغة العربية، د. عبد القادر الفاسي، دار تبقال للنشر، ط٤، ٢٠٠٠، الكتاب الأول، ص ١٥٨.

١ـ مادة (ذهب) وشكل (خاتم).

٢ـ منفذ حدث (قاتل) وضحية هذا الحدث (سجين).

تلك العلاقات التي أشار إليها توضح أن كل بنية إضافية تقوم على علاقة دلالية ما بين عنصري هذا المركب الاسمي، سوغت لنا أن نكون هذا البناء التركيبي الجديد.

ويتحدث د. الفاسي عن توارث التعريف في المركب الإضافي في ضوء نظرية تشومسكي مبيناً مكونات المركب الإضافي، وجاعلاً علاقة الملكية هي الأساس في تلك الأبنية الإضافية، بل إنه يسميها باسم هذه العلاقة أي البنى الملكية معلناً عن تصور جديد لها ذاكراً خصائص تلك البنى الملكية قائلاً: أقدم تصوراً جديداً لبنى الملكية؛ التي تعرف في الأدبيات التقليدية بالمركبات الإضافية، وسيأخذ التحليل بعين الاعتبار عدداً من خصائص هذا التركيب وضمنها :

أ) أن المركب يتصدره اسم عار[1].

ب) أن هذا الاسم يحمل الإعراب المسند للمركب بأتمه.

ت) أن هذا المالك يكون في موقع بعد س (المملوك)، وقبل الصفات الناعتة.

ث) أن المالك مجرور .

ج) الرأس الاسمي (المضاف) لا يحمل أداة تعريف (رغم أنه يئول على أنه معرف عادة، عندما يكون المضاف إليه معرفاً).

ح) الرأس الاسمي يئول (عادة) على أساس أنه معرفة أو نكرة بناء على قيمة سمة التعريف في المركب المالك (المضاف إليه).

فهذه الخصائص ممثلة في التركيب التالي:

١ـ (احترقت دار الرجل الواسعة)[2]

ويحاول الفاسي تفسير كيفية انتقال التعريف من المضاف إليه إلى المضاف (دار الرجل)، وكيف يمكن القول: إن المضاف معرفة على الرغم من أنه ليس معرفة؛ لأن المضاف إليه معرفة فقط ؟ هذا التحليل التحويلي كما يرى لتشومسكي وقال به الفاسي يقوم علي اعتبار اللغة وحدات صماء، قابلة للتحليل الرياضي مثلها مثل الأعداد الحسابية، لكن الأمر يرتبط بقضايا أخرى لا تحتاج فيها إلى التحليل الرياضي بمعادلاته المختلفة لتفسير انتقال التعريف من المضاف إليه إلى المضاف، وقد ذكر القدماء تفسيراً لذلك وقال به الفاسي قبل قليل، هو العلاقة الدلالية التي تربط بين المتضايفين وهى علاقة الملكية؛ فالملكية جعلت الأول ملكاً للثاني؛ ولأن الثاني معرفٌ فقد اكتسب الأول منه تعريفه، والإضافة في بعض أنوعها ـ كما قال القدماء والمحدثون ـ تفيد التخصيص، وهو تحديد الشيء الشائع ملكيته بين الناس؛ فتلك الدار من الممكن أن تكون ملكاً لكل الناس حتى يأتي المضاف إليه المعرفة فيخصصها ويحدد مالكها بإضافتها إليه لنقول: هذه دار الرجل، فهي ملك لهذا الرجل دون أحد سواه، وهنا تبدو قيمة تحليل العلاقات الدلالية بين المتضايفين في بيان التخصيص والتحديد للعلاقة بين المتضايفين وإبراز كثير من المعاني التي يتضمنها التركيب الإضافي دون الحاجة إلى معادلات رياضية، وتفسيرات بعيدة عن واقع اللغة العربية ومنطقها الخاص.

---

(١) هذه بعض الإيضاحات لما يقصده د. الفاسي (المركب = المضاف والمضاف إليه، عار= نكرة، الاسم = المضاف ويعرب حسب موقعه في الجملة، المالك = المضاف إليه، المملوك = المضاف).

(٢) المقاربة والتخطيط في البحث اللساني العربي، د. عبد القادر الفاسي الفهري، دارتوبقال، الدارالبيضاء، المغرب، ١٩٩٠، ص٧٦.

مفهوم الإضافة عند غاليم:

قام د. محمد غاليم بتناول مفهوم الإضافة والعلاقة الدلالية بين المتضايفين بتفصيل أكثر مستلهماً في ذلك آراء القدماء والمحدثين، فانطلق من عرض لأنواع الإضافة عند القدماء:

رأي القدماء في أنواع الإضافة:

يذكر غاليم ـ كما قال القدماء ـ أن الإضافة نوعان (من حيث الدلالة) هما:

أ) **إضافة تخصيصية أو إفرادية:** نحو: دار الرجل، حيث المضاف إليه حد (determiner) للاسم الرأس، وحيث يحيل المركب كله على كيان مخصص خارج طبقة الكيانات التي يحيل عليها الاسم الرأس، أي أن المقصود بـ (هذه دار الرجل) دار الرجل لا قصره أو ضيعته[1].

هذا القول يحتاج إلى إيضاح أكثر؛ فهذا الصنف (علاقة التخصيص) يضع حداً من خلال المضاف إليه للأشياء التي يمكن أن نطلق عليها اسم دار، فتخصصها لفلان فلم تعد كلمة دار تحمل المعنى العام والشامل السابق، ولكن د. غاليم وقف عند منطقة واحدة في المعنى هي تحديد ممتلكات الرجل فتلك داره وليست قصره، ولكن هناك جانب آخر من التحديد في (دار الرجل) هو تحديد مالك الدار بأنه ذلك الرجل وليس الصبي أو المرأة أو الطفل عندما نقول: دار المرأة / الغلام / الصبي.

ب) **إضافة تصنيفية أو وصفية:** نحو: دار رجل، حيث المضاف إليه بمثابة نعت (modifier) للاسم الرأس، وحيث يحيل المركب كله على طبقة فرعية معينة داخل الطبقة التي يحيل عليها الاسم الرأس أي أن المقصود بـ (دار رجل) دار رجل لا امرأة أو طفل أو فتاة ...)[2].

هذا المفهوم الجديد للعلاقة بين المتضايفين يجعلنا نعمق الفهم لتلك العلاقة الدلالية، والأسس التي تقوم عليها في ضوء معرفة مستقلة بكل من المضاف والمضاف إليه كل على حدة، وما الذي أجاز لنا أن نجمع بينهما ؟ مستلهمين مناهج التحليل الحديثة.

أولاً: دلالة الإضافة:

قال غاليم: فما دامت البنية الإضافة قائمة على تضايف اسمين، فإن دلالتها تنتج عن التأليف المشترك بينهما، ومن ثمة ضرورة النظر في خصائصهما الدلالية، ويجب أن ينصب الاهتمام على تخصيص أكفى لبنية الاسمين المتضايفين الدلالية، ولكيفية تآلفهما لبناء دلالة المركب الإضافي[3].

إن عملية الربط بين المتضايفين تقوم علي عملية تأليف مشترك؛ بغرض تكوين بناء جديد له دلالته خاصة، لهذا يجب دراسة العناصر الدلالية في هذا المركب الاسمي الجديد وهي :

١ـ دلالة كل كلمة من الكلمتين (المضاف والمضاف إليه) على حدة.

٢ـ كيفية التآلف بينهما لبناء مركب جديد بدلالة جديدة .

٣ـ معرفة الجانب الإبداعي الذي انطلق منه المتكلم المبدع لخلق منتجه الجديد (استعارة ـ مجاز ـ كناية...).

ثانياً: معني الكلمة:

يطرح هذا العنوان السؤال الآتي: كيف يُبنى معنى الكلمة ؟ ومما يتكون ؟

إن معنى الكلمة يتألف من المعلومات المتعلقة بنمطها الدلالي أو مقولتها الدلالية، أي كل المعلومات المرتبطة بهذه الكلمة التي تكون دلالتها، وارتبطت في ذهن السامع بعلاقة **ما** مع أشياء

(١) النظرية اللسانية والدلالية العربية المقاربة، ص٩٥.
(٢) النظرية اللسانية والدلالية العربية المقاربة، ٩٥.
(٣) المرجع السابق، ٩٥.

أخرى تستدعيها في ذهنه عند ذكرها، هي عبارة عن معلومات سابقة ولاحقة حول معنى الكلمة، يكون لها منطقة خاصة بها في ذهنه، في هذه المنطقة نجد كل المعلومات عنها داخل مجال معرفي (cognitif domain).

إن الكلمة تستقى معناها من عدة مداخل تتعاون معاً في خلق المعنى في ذهن السامع هي:

١. الدلالة المعجمية: أي معنى الكلمة في المعجم، إن المعني المعجمي يحتاج إلى مزيد من التمييزات التي تسفر عن مجموعات انتقائية فرعية أدق داخل عناصر الأنماط المذكورة، لهذا نحن في حاجة إلى هذه التمييزيات الخاصة بالكلمة التي لا توجد في المعجم .

٢. التمييزات الخاصة بالكلمة: وهذه التميزات تساعد على تحديد أدق لمعنى الكلمة نحو:

أ) التمييز على أساس الحيوية: كما في كتاب ـ رجل، فالأول ميت والثاني حي.

ب) التمييز بين الكتلة والمعدود في (سمن ودار) فالأول كتلة تعين منطقة غير محددة داخل المجال، فلا نعرف أين تقع الكتلة (كيلو) داخل المجال (سمن) والثانية (دار) التي تعين منطقة محددة داخل مجال الإدراك وتشير إلى مجال محدد الأبعاد، يمكن معرفته وعزله.

ج) التمييز بين الفرد: مثل رجل من الجماعة مثل لجنة تنظيم الأسرة.

د) التمييز: يكون التمييز بين:

١- طبقة الأسماء الحملية (predicative): نحو رجل وماء، هي كلمات تستطيع وحدها أن تشير إلى شيء موجود في العالم الخارجي، فتحمل هذه الكلمة وحدها معنى هذا الاسم.

٢- طبقة الأسماء العلاقية (relational): نحو (أب) و(أخ) تعتبر تابعة، فهي لا تستطيع بمفردها أن تحيل إلى شيء دون أن تكون تابعة لكيان إحالي آخر، فهي تحيل على أفراد يقيمون علاقة مخصوصة بفرد آخر على الأقل، وهنا نحتاج إلى كيان آخر يمكن بالرجوع إليه أن تقوم العلاقة كما في علاقة القرابة، فرأس المركب الإضافي مثل: أب يحتاج مباشرة كياناً آخر يمكن بالنظر إليه استكمال إحالته إلى ابن أو ابنة نحو: أب زيد، أب هند، وكذلك علاقة الجزء بالكل كما في (يد زيد ـ رجل الطفل) الذي تربطه به علاقة عضوية، فهذه اليد والرجل عضوان في جسد زيد والطفل، وعلاقة الشيء بمصدره أو أصله، حيث تطلب الرأس مباشرة كياناً يحيل على مصدره أو أصله نحو: رأى زيد ـ صوت هند[١].

هذه العلاقات (القرابة ـ الجزء بالكل ـ الشيء بمصدره) تسهم بدور بارز في تحديد دلالة المركب الإضافي، فتصبح هذه العلاقات الرابط بين المتضايفين، ويمكن من خلالها إعادة تصنيف المعاني المكونة للمتضايفين في شكل علاقات جديدة تربط تلك العلاقات معاً، وتدل على النمو الفكري والتطور اللغوي والحضاري عند أبناء هذه اللغة .

هناك قيمة أخرى للعلاقة الدلالية؛ يقول د. غاليم: إذا كانت الرؤوس العلاقية بالمعنى المذكور تلعب الدور البارز في تحديد دلالة المركبات الإضافية التي ترأسها فتقلص بذلك إمكانات التأويل[٢]، أي أنها تقلص إمكانات تأويل دلالة المركب الإضافي، مما يجعلنا نحدد المعنى المقصود من المركب الإضافي من بين احتمالات أخرى، بصورة أدق.

(١) النظرية اللسانية والدلالة العربية مبادئ وتحاليل جديدة، بتصرف، ٩٧.
(٢) المرجع السابق، ٩٧.

ثالثاً: التأويل:

نعني به محاولة فهم العلاقة بين المتضايفين والمعنى الناتج عن اقترانهما معاً، وتتعدد إمكانيات التأويل في حالة المركبات الإضافية التي ترأسها رؤوس حملية أو متعددة العلاقة، أي رؤوس لا تتطلب مباشرة علاقة مخصوصة، وإنما يمكن أن تدخل في عدد من العلاقات بكيانات أخرى[1]، وهذا التنوع والتعدد أعطى فرصة أكبر للتأويل كما في رجل وماء فيمكن أن تضاف إلى أشياء متعددة، ولكن في كل الحالات المتعددة للمضاف إليه تظل كل منهما تشير إلى موجود في العالم الخارجي هو الماء والرجل، والتعدد جاء من إمكانات إضافتهما إلى عناصر كثيرة مما يؤدى إلى كثرة التأويل والافتراض في المعنى الناتج عنهما، ولتحديد مجال التأويل ومحاولة تأويل المركب الإضافي فإننا نحتاج إلى تفحص أوسع للبنية الدلالية للاسم الرأس، وذلك بناء على أن التأويل ينتج عن خصائص هذه البنية في علاقتها ببنية الاسم المضاف إليه[2]، هذا يعني أننا في حاجة إلى معرفة أكبر بالبنية الدلالية للمتضايفين وخصائصها عندما يكون المتضايفان مستقلين أو منفصلين عن بعضهما، وهناك مجموعة من الخصائص التي نفهم عن طريقها الكلمة عندما تدمج في اللغة؛ هي من أهم مكونات بنية الأسماء والوحدات المعجمية عموما، وهي:

١. **الخاصية الصورية:** أي "هوية" الشيء وما يميزه داخل مجال أوسع، وما يستتبع ذلك من محددات تتعلق بالحجم والبعد واللون والوضع.
٢. **الخاصية التكوينية:** أي علاقة الشيء بمكوناته وأجزائه الذاتية.
٣. **الخاصية الغائية:** أي الغاية من الشيء ووظيفته التي يستعمل من أجلها.
٤. **الخاصية المنفذية:** أي العوامل المتداخلة في إيجاد الشيء أو أصله ومصدره، وما يستتبع ذلك من محددات تتعلق بمنتجه، وبكونه منتوجاً أو نوعاً طبيعياً[3].

واعتبرها غاليم قيوداً دلالية نفهم عن طريقها الكلمة عندما تدمج في اللغة، وتفيدنا في:

١. تحديد إضافة اسم إلى اسم آخر.
٢. تأويل معنى المركب الإضافي.
٣. تحديد القيود الدلالية للكلمة.

ولكنني أختلف مع د.غاليم في تسمية هذه المكونات بالقيود الدلالية، وأعتبرها محددات إدراكية؛ يستعين بها السامع في إدراك الشيء بوضع أبعاد ومحددات له يمكن من خلالها إدراكه، وبناء صورة ذهنية عنه في الفضاء الذهني لهذا السامع، يتم من خلال تلك الصورة الذهنية فهم هذا الشيء والتفاعل معه، فلكي نفهم الأشياء لا بد أن ندركها بحواسنا الداخلية والخارجية، ثم نبني صورة لها في أذهاننا، من ثم نتفاعل معها من خلال صورتها الذهنية، فوجود تلك الأبعاد المختلفة لدينا عند رؤية الشيء ليست قيوداً؛ بل ضرورة نؤديها بطريقة آلية دون أن نشعر بها، ومن خلال تلك الخصائص أو العناصر الإدراكية وما تفرضه على الكلمة من محددات دلالية يمكن أن نفهم لماذا أضيفت هذه الكلمة إلى تلك ؟ ولماذا لا يصلح أن تضاف هذه الكلمة إلى تلك ؟ وقد اعتبرت هذا الأمر بمثابة عملية تكوين أو صناعة للمركب الإضافي وسميتها: (مرحلة التكوين).

---

(١) المرجع السابق، ٩٧.
(٢) المرجع السابق، ٩٧.
(٣) النظرية اللسانية والدلالة العربية مبادئ وتحاليل جديدة، بتصرف، ٩٨.

نموذج تطبيقي على عمليتي التكوين والإبداع الإضافي:

أولاً: مرحلة التكوين:

يمكن أخذ كلمة كتاب في هذه التراكيب الإضافية نموذجاً للتحليل الدلالي للمركب الإضافي

أ ـ كتاب الفلسفة. ب ـ كتاب زيد. ج ـ كتاب الثمانية أجزاء.

رأس الإضافة: (كتاب) تحمل خصائص معينة يقوم المضاف إليه بالإحالة على خاصية من خصائص هذا الرأس (كتاب)، فنجد في المركب (أ) أن المضاف إليه يحيل على خاصية الرأس الصورية باعتبار الكتاب مجموعة معلومات في مجال محدد هو الفلسفة .

وفي (ب) نجد في إحالة على عدة خصائص توجهنا لها كلمة زيد، فقد يكون زيد هو المؤلف، فيحيلنا ذلك إلى خاصية المنفذ، أو خاصية الغائية باعتبار زيد المستعمل للكتاب، أي القارئ له .

وفي (ج) يحيل المضاف إليه الخاصية التكوينية باعتبار الكتاب مكوناً من عدة أجزاء، فتبين من ذلك أن تأويل المركب الإضافي جاء من التأليف المشترك بين بنية خصائص الرأس، ونمط المضاف إليه الذي يستجيب لإحدى هذه الخصائص[1].

يبين غاليم عمل هذه الآلية لاستخراج البنيات الدلالية للرأس (كتاب) قائلاً: إن الكتاب باعتباره اسماً مفرداً نمط دلالي يقوم على بنية من الخصائص المتساوية لكن تركيبه مع اسم آخر في مركب إضافي يفرض تأويله في اتجاه معين باعتبار إحدى خصائص البنية، وتبعاً لنمط المضاف إليه، فالفلسفة معلومات تفرض تأويل (كتاب الفلسفة) على شيء فيزيائي يحمل معلومات تبعاً للخاصية الصورية، ويستعمله (زيد) لغاية القراءة، تبعاً للخاصية الغائية، أو يؤلفه (زيد) تبعا للخاصية المنفذية، وعن سبب تعدد التأويل في (كتاب زيد) يقول: إن ما يسمح بتأويل (كتاب زيد) بالإحالة على الخاصية الغائية أو المنفذية أن المضاف إليه من نمط إنسان يمكنه أن يقرأ أو يؤلف، فهذا يعني أن المضاف إليه لا يقوم بتحديد الخاصية المطلوبة من خصائص المضاف فحسب، بل إنها يمكنها أن تختار أكثر من خاصية من خصائصه بناء على طبيعتها هي (أي المضاف إليه) [2]، فلو قمنا بتحليل كل مركب إضافي بهذا الشكل لأدركنا سر العلاقة بين المتضايفين في مرحلة التكوين، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الإبداع كما سنرى.

ثانياً: مرحلة الإبداع الدلالي:

تأتي مرحلة الإبداع بعد مرحلة تكوين المركب الإضافي بتحديد الاسمين المكونين له؛ حيث يوظف المتكلم المركب الإضافي للدلالة على معان جديدة، ربما يكون بعيداً كل البعد عن المجال الدلالي للكلمتين كمكونين أساسيين لمعنى اللفظين المتضايفين، ويرجع هذا إلى القدرة الإبداعية لدى المتكلم على الربط بين الأشياء، ويبدو ذكاؤه في إظهار هذه العلاقات التي ربما كانت خفية على البعض وخلق علاقات بينهما لم تكن موجودة من قبل، وبذلك يكون المتكلم قد ولّد دلالة جديدة لهذا المركب الإضافي، يستعين في ذلك بوسائل اللغة المختلفة من استعارة وكناية ومجاز، وهذا الأمر سوف يظهر من خلال جانب الدراسة التطبيقية على عبارات ثمار القلوب للثعالبي، حيث تبدو المركبات الإضافية في واقع الاستعمال الفعلي بمعانيها المختلفة، فتظهر علاقات دلالية جديدة ومختلفة حتى عن ما ذكرها المحدثون .

---

(١) المرجع السابق، ٩٩.
(٢) النظرية اللسانية والدلالة العربية مبادئ وتحاليل جديدة، ٩٩.

مقارنة بين مفهوم غاليم عن الإضافة وعلم النفسي العصبي:

د.غاليم: درس غاليم مجموعة من المفاهيم ليصل من خلالها إلى تحليل دقيق للعلاقة الدلالية بين المتضايفين، تقوم على استخراج المكونات الدلالية للكلمتين وفرزها؛ لبيان سر ارتباطهما معا، إن أساس تحليل د.غاليم يقوم على دراسة وتحليل لكيفية تكوين العلاقة الدلالية داخل البنية التصورية للمتكلم - كما سنرى - ولكن البنية التصورية التي أقام عليها تحليله هي عملية عقلية لأنها تتصل بكيفية بناء الصورة في عقل المتكلم .

علم النفس العصبي: يقوم هذا العلم بالدخول بعمق في تحليل المركب الإضافي بدراسة العمليات العقلية التي تتم داخل عقل المتكلم، وما يصاحبها من تحليل نفسي عصبي ودراسة لتحرك الخلايا العصبية، نتيجة تأثير مثير ما - داخلي أو خارجي - عليها ودور تلك الخلايا العصبية في ذلك، وكذلك الناقلات العصبية التي هي مركبات الكيمائية مختلفة؛ لكل نوع منها دور في تحديد المعنى الذي تنقله إلى عقل المتكلم، نحو مركب "الأدرينالين" الذي ينقل إلى العقل الإحساس بالتوترات العصبية التي تصيب الإنسان، وماذا يحدث بعد نقل هذا الإحساس إلى العقل، ودر هذا النوع من الإحساس في اختيار المتكلم لنوع المركب الإضافي المناسب لوصف تلك الحالة الانفعالية التي يعيشها هذا الإنسان الآن، مما يجعل المتكلم يطلق هذا الاسم على هذا الشيء أو الشخص دون سواه من المركبات في إطار عملية خلق وإبداع معقدة؛ تتم دخل عقل المتكلم تشترك فيها عناصر كثيرة من علوم شتى.أهمها: علم النفس، وعلم الأعصاب، وعلم وظائف الأعضاء، وعلم اللغة.

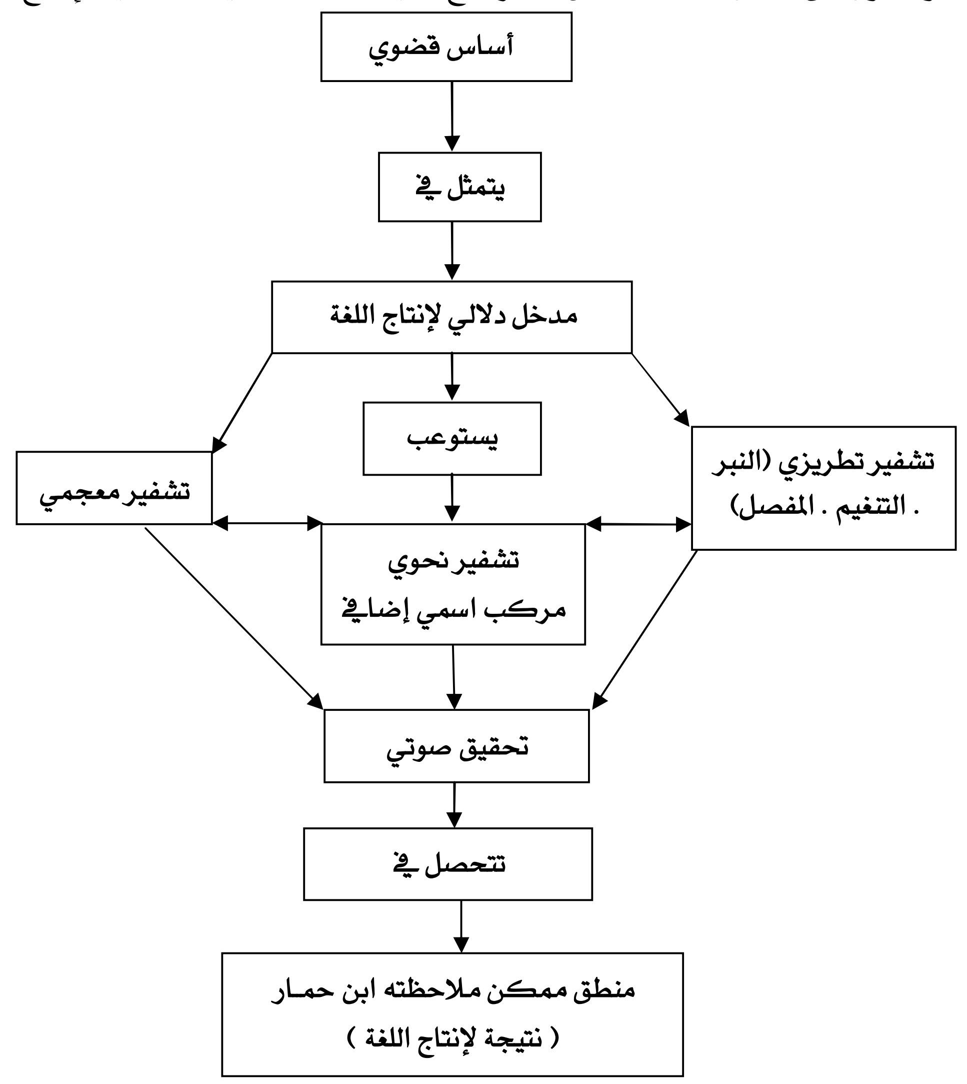
مثال:[1] التقى "عماد" بصديقه "كامل" فأخبره كامل أنه سلم أسرار عمل (بنية حسنة) إلى عدوه "زيد" فقال له عماد - على الفور- : أنت ابن حمار.

ماذا حدث في عقل عماد في تلك اللحظة ليطلق هذا المركب الإضافي على صديقه ؟ كيف تمت تلك العملية العقلية لإنتاج هذا المركب الإضافي ؟ هل هي عملية بناء تصوري أو هي عملية نفسية عصبية لغوية، اشتركت في صياغتها وصنعها كل تلك العلوم مجتمعة، قام كل علم فيها بدوره الخاص، إن الدراسة والتحليل لتلك العملية تبين كيف تم ذلك ؟

تحليل الحوار: لقد فاجأ كاملُ صديقه بهذا الخبر، فاستقبله بحواسه الخارجية متمثلة في حاسة السمع، التي نقلت هذا المثير الصوتي إلى الخلايا العصبية فتأثرت به خلاياها العصبية وما بينها من مواد كيميائية تسمى الناقلة العصبية؛ فتحرك ذلك المركب الكيميائي "الأدرينالين" لينقل ذلك الإحساس بالتوتر والاضطراب العصبي إلى الخلايا العصبية المجاورة للمادة الناقلة لتصل عبر تلك الخلايا العصبية إلى عقل المتكلم (غرفة العمليات)، فاستقبل العقل هذا الانفعال فبني داخله تصوراً حول هذا الحدث وفاعله (الأساس القضوي التصوري)، ثم قام المدخل الدلالي بعمليات التشفير اللغوية ويكون المدخل الدلالي جزءاً مختاراً للأساس القضوي، فيتجه المتكلم إلى خزانته اللغوية متمثلة في معجمه الذهني، فيختار منه المركب اللغوي المناسب لهذا الحدث، لكن لم يرض عقله (تحت تأثير هذا الانفعال الشديد) بكلمة واحدة أو اسما واحداً يطلقه على هذا الشخص، لقد طغى هذا الانفعال على كل علاقة الصداقة التي بينهما وسنين المحبة، ليختار له اسما؛ جمع فيه كل صفات الغباء؛ بل هو نموذج للغباء في كل عقول البشر، بل جعله الحق تبارك وتعالى نموذجاً للغباء وهو الحمار الذي يحمل الكتب دون أن يدري ما فيها من علم، إن صاحبنا المنفعل يقع تحت تأثير كم كبير من

(١) هذا مثال تخيلت من خلاله كيف تعمل الخلايا العصبية في نقل المدركات إلى العقل وتفسرها.

المركب الكيميائي "الأدرينالين" الذي ينقل إلى عقله الإحساس الشديد بالغضب، مما جعله لا يكتفي بإطلاق اسم حمار علي صديقه عند تسميته؛ بل يصل إلى أكثر من ذلك، وهو نسب هذا الشخص ليبين من أين أتاه الغباء لقد ورثه عن أبيه، لذا نجده عند تسمية صديقه يقول له: أنت ابن حمار، ليعبر عن ذلك الانفعال من خلال مركب إضافي قام على علاقة القرابة بين شخصين أحدهما أب والثاني ابن، فهي علاقة قرابة، تربط بين حيوان وحيوان آخر تعرف بعلاقة القرابة، ولكنه يبدع فيها فيوظفها في مجال آخر، وهو مجال الجنس البشري بإطلاقها على إنسان، فينقل لنا هذا المركب الإضافي إحساس الانفعال الذي حدث داخل عماد عند وصفه لصديقه بإطلاق هذا المركب الإضافي عليه. ونحاول من خلال هذا الشكل أن نوضح كيف تمت العمليات العقلية لإنتاج هذا المركب[1]:



إن الإضافة لها معان متعددة عند القدماء والمحدثين هي:

أولاً: عند القدماء: يرى القدماء أن الإضافة على قسمين: محضة وغير محضة، فالمحضة: غير إضافة المشابه للفعل المضارع إلى معموله، وتسمى إضافة معنوية، وغير المحضة: إضافة الوصف المذكور، وتسمى الإضافة اللفظية؛ فيكون المضاف صفة (اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة) والمضاف إليه معمولاً لتلك الصفة. وقد لاحظ د. حماسة العمق في هذين القسمين فقال: ومن الملاحظ

(١) راجع الصورة الأصلية لهذا التقسيم في كتاب: مدخل إلى علم اللغة الإدراكي، ١٨٤.

أن المصطلح الخاص بهذا الضرب من الإضافة وهو الإضافة اللفظية يشير إلى أن الإضافة إنما هي إضافة في اللفظ فقط، ولكنها بحسب المعنى أو العمق ليست إضافة، ويشير أيضاً إلى أن هذا التركيب يكتسب معناه من عمقه لا من سطحه[1].

ثانياً: عند المحدثين:

وهذا ما قال به المحدثون مثل ديريو (١٩٩٠)[2] من أن العلاقات التي تدل عليها بنيات المركبات الإضافية تنقسم إلى علاقات ساكنة وعلاقات غير ساكنة، فالساكنة كما في كتاب زيد، أما غير الساكنة فهي التي تدل عليها البنيات التي يكون رأسها شبه فعل مثل المصدر أو اسم الفاعل أو اسم المفعول، ومن العلاقات الساكنة التي تضاف إلى البنيات السابقة علاقة المحلية نحو حضور القاعة، فيدل الاسم المضاف إليه على محل، أما العلاقات غير الساكنة فتبنى بين الرأس وما يضاف إليه على نفس ما تبنى عليه العلاقة بين الفعل (أو المحمول) وموضوعاته نحو:

للمنفذ وللمُعاني وللضحية تباعاً:

أ) غناء هند. ب) حزن زيد. ج) تدمير المدينة.

العلاقة المتحركة: ومن هذه الرؤوس غير الساكنة رؤوس ذات أنماط دلالية مركبة تمكنها من التعدد الدلالي مثال ذلك الرأس (بناء) في مركب إضافي: بناء الدار، التي يمكن أن تحيل على النمط بأتمه كما في (تم بناء الدار في ثلاثة أشهر)، أو على السيرورة أي على فعل البناء كما في (كان بناء الدار متعباً وصعباً)، أوعلي الحالة أي على نتيجة السيرورة كما في (يوجد بناء الدار في الشارع الآخر) فهي علاقة بين الحدث ومعموله (اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة) فهي ليست علاقة ملكية، وهي علاقة غير ساكنة بل متغيرة؛ إن هذا الرأس (بناء) أعطى فرصة أكبر لتوليد دلالات متعددة تدل جميعاً على حركة .

العلاقة الساكنة: في مقابل هذه العلاقات غير الساكنة توجد العلاقات الساكنة نحو(يد الرجل ـ مكتب الرئيس ـ سيارة الرئيس ـ أب زيد ـ أب هند ـ رجل الطفل ـ صوت هند ـ رأى زيد ـ كتاب الفلسفة)؛ فالعلاقة بين الرأس والمضاف إليه علاقة مستقرة ساكنة غير متغيرة، فهي في العمق تعد إضافة محضة كما ذكر القدماء، وقد جاء لها الثبات من أن العلاقة بين أب وزيد لا تتغير فهو دائماً أب لزيد، إذن الذي حدد نوع العلاقة (ساكنة وغير ساكنة) هو الرأس (البناء ـ أب ـ مكتب) في هذه التراكيب السابقة.

قال د. غاليم: وإجمالاً فإن النظر في البنية الدلالية للرأس وللاسم المضاف إليه، يمكن أن يسمح بتفصيل أنماط العلاقات الدلالية في البنيات الإضافية بشكل أوسع وأدق مما يوجد في أغلب الأنحاء، ومنها التقليدية التي لم تقف بما فيه الكفاية عند بنيات الرؤوس وما يضاف إليها)[3].

وهذا يجعلنا نعيد النظر في تلك العلاقات الدلالية بين المتضايفين وكيف تعددت ؟ وما مسوغات هذا التعدد ؟ لنقول: إننا لنحدد الدلالة الناتجة عن اجتماع كلمتي الإضافة يجب أن ننظر إلى:

١ـ البنية الدلالية للمضاف.

٢ـ البنية الدلالية للمضاف إليه.

---

(١) من أنماط التحويلية في النحو العربي، د. محمد عبد اللطيف حماسة، الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠، ص٥.

(٢) نقلا عن د. غاليم، ١٩٩٩، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، ٩٩.

(٣) النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، ٩٩ ــ ١٠٠ .

٣ ـ السياقات التركيبية والدلالية المختلفة التي يرد فيها اللفظان.
٤ـ قدرة الوحدة المعجمية على ضم معان متعددة.
٥ـ قدرة الأسماء على إسقاط أي معنى من معانيها في أي سياق تركيبي، وما دلالته ؟
٦ـ العلاقات الدلالية في البنيات الإضافية بشكل أوسع وأدق.

الفصل الثالث

العلاقات الدلالية بين المتضايفين

أصل العلاقة الدلالية بين المتضايفين:

يذكر د. غاليم أن العلاقة بين المتضايفين تقوم على معنى الملكية، يقول: سنفترض أن معنى الملكية يشكل المعنى النمطي النموذجي للجر في الإضافة[1]، وهو ما قال به القدماء من تقدير اللام أو من أو في، فنقول: دراجة زيد أي دراجة لزيد فهي ملك لزيد، ولكن الأمر أكبر من ذلك حيث العلاقة بين المتضايفين تدخل فيها عناصر إبداعية تجعل الباب متسعاً لاستيعاب كل جديد في اللغة، ويصبح باب الإضافة من أكبر أبواب اللغة الإبداعية، وهو أيضاً باب زيادة الثروة اللغوية (بالتوسيع الدلالي) لسد ثغرات اللغة.

لقد حذّر عبد السلام العساوي من مغبة السير وراء هذا التفسير للعلاقة بين المتضايفين على أساس علاقة الملكية قائلاً: الإضافة من المعاني النحوية الممثلة لقدرة البنية على استيعاب العلاقة، والتفريق بين الدراسة الدلالية الخالصة والدراسة الإعرابية الخالصة؛ على أننا نشير إلى أنّ الاعتماد على العلاقة لفهم البنية سبيل محفوف بكثير من المخاطر؛ لأن العلاقة أوسع من أن نحصرها في بعض الأبنية، من ذلك ما يثار عن دلالة (المُلْك) في الإضافة المعنوية التي ترد على معنى اللام، إذ اعتبر بعض النحاة أمثال سيبويه والمبرد أن المضاف إليه يملك المضاف، نحو قولهم في (غلام زيد) يملك زيد الغلام، لكن منهم من قال مثل ابن السراج: إن علاقة الملك غير مطردة مع جميع الأمثلة، ففي مثال (سيد العبد) لا يملك العبد السيد ؟ مثلما يوهمنا به إنجاز هذه البنية، معنى ذلك أن هؤلاء النحاة تفطنوا إلى أن دلالة الملك بما هي علاقة بين عنصري بنية المركب الإضافي أوسع من إمكانات البنية.

فهل أن البنية شكل مجرد مسيّر بقواعد ؟

الثابت أن احتمالاتها الدلالية لا يمكن حصرها في ما هو منجز منها؛ بل إن تجردها يضعف في أغلب الأحيان دلالتها الحاصلة، والنحويّ لا يهتم بصورة عامة بالإيجاز[2].

وقوله: أن احتمالاتها الدلالية لا يمكن حصرها يوضح اتساع الاحتمالات الدلالية للمركب الإضافي فهي أكبر من أن نحصرها، بما يعني أنه توجد احتمالات دلالية أخرى غير علاقة المِلْك بين المتضايفين يجب أن نضعها في الاعتبار.

ويتهم د. غاليم الفكر التقليدي بالتقصير في إدراك هذه العلاقة قائلاً: مثلما لم تهتم الأنحاء التقليدية بالبنيات الدلالية للأسماء المتضايفة، لم تهتم بالعلاقات التصورية أو (المعرفية) الممكن قيامها بين مختلف معاني الإضافة، فأوردت هذه المعاني في صورة ناقصة (تجمل أحياناً في معاني اللام ومن وفي)، أي أن بنية الإضافة عوملت باعتبارها نوعاً من المشترك اللفظي، وليس باعتبارها مجموعة من المعاني المبنية أو المتعالقة على أساس معين ... إننا نحتاج إلى افتراض أقوى يذهب إلى وجود علاقة ما بين معاني البنيات الإضافية تقوم على نوع من التعدد الدلالي أو التماثلات التصورية (الجزئية)، وإلى أن هذا التعدد ليس اعتباطيا... كما أن هذا الافتراض يمكن من عدم تنزيل مختلف معاني الإضافة منزلة واحدة، ... ويسمح بتبيين إمكان وجود درجات من التعالقات النمطية النموذجية (degrees of prototypicality) بين مختلف المعاني، وتميز بعض المعاني المركزية من أخرى مشتقة أو غير مركزية، ويمكن مثل هذا الافتراض أيضاً من تفسير كون هذه المجموعة من المعاني المخصوصة، دون غيرها يعبر عنها بنفس البنية الصورية، وذلك بتبيان الرابط (الاستعاري أو التصوري الجزئي) الذي

---

(١) النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، ١٠١.

(٢) التأريخ النصيّ للنحو العربي من خلال مفهوم الإضافة، د. عبد السلام العساوي، دار سحر للنشر، تونس، ٢٠٠٤، ص٨.

يربط هذه المعاني ببعضها، ويربطها بنمط نموذجي[1]، ورداً على قول د. غاليم نذكر أن الأصل في العلاقة بين المتضايفين (كما يرى هو وكذلك القدماء) هو علاقة ملكية، ومنها ينطلق النمط النموذجي نحو: دراجة زيد، أي الدراجة التي يمتلكها زيد فهي ملك لزيد .تم التوسع في هذا الباب بعدة صور أفقية وعمودية عن طريق روابط استعارية فقد ميز نيكيفوريدو (١٩٨٩)[2] بين روابط استعارية تعمل في اتجاه عمودي، فتربط أمثلة ملموسة بأمثلة مجردة للمعنى نفسه وروابط استعارية في اتجاه أفقي، فتربط معنى معيناً بالنمط النموذجي أو بمعنى آخر مربوط به .

أولاً: الاتجاه العمودي:

يمكن أن نلاحظ الوجه الاستعاري بين كلمة نفس التي تعني ذات الشيء المحسوسة والمجردة؛ فنعني بها ذات الشيء الملموسة من إنسان أو حيوان أو جماد، ونعني بها ذات الشيء المجردة من ضميره وقلبه، أو نعنيهما معاً (ذات الشيء الملموسة والمجردة) مما أنتج لنا عدداً لا نهائياً من الدلالات، عن طريق التوسع في هذا الباب باستخدام الروابط الاستعارية العمودية[3].

وهناك أمثلة على ذلك في باب الإضافة في نحو: أم قشعم للحرب، حيث أشرنا بعلاقة القرابة الملموسة (أم) لشيء مجرد لا يلد، وهو الحرب باستخدام تركيب إضافي: أم + قشعم.

ثانياً: الاتجاه الأفقي :

يذكر دغاليم مجموعة من صور الاستعارة أو التمثيلات التصورية الجزئية التي تربط أفقياً بين بعض معاني الإضافة (مما سنناقشه بعد قليل) نحو: من المملوك إلى الجزء في (يد زيد ـ رجل الطاولة) على اعتبار أننا نتصور الأجزاء باعتبارها ملكيات؛ فيكون معنى التبعيض في يد زيد توسعاً استعارياً لمعنى الملكية في نحو: دراجة عمرو، بناء على رابط استعاري هو: الأجزاء ملكيات .

إن تصور نيكيفوريدو للروابط الاستعارية بنوعيها يعطى توسعاً دلالياً لمعنى المركب الإضافي، وهذا ليس جديداً بدليل أن الناس يستخدمونه بكثرة حتى أصبح من الاستعارات الميتة في نحو: رِجْل الطاولة، ولكن الجديد في ذلك هو ذلك التقسيم الذي يعطى فرصة لتحليل أدق للصورة الاستعارية، إلى جانب هذا يظل معني الملكية مسيطراً على العلاقة بينهما في كل الصور السابقة، وهو ينطلق من باب الإضافة المحضة أي الإضافة المعنوية لا اللفظية حيث الإضافة هنا حقيقية، وليست إضافة عامل إلى معموله، وهنا تظهر قدرة المتكلم على إيجاد روابط استعارية أو تصورية بين كلمتي الإضافة؛ ينشأ عنها هذا المنتج الجديد (المتضايفان) بدلالته الجديدة التي تشير إلى قدرة المتكلم الإبداعية على خلق دلالة جديدة من مركبات إضافية معروفة سلفاً، يسد بها حاجاته اللغوية المتزايدة كل يوم .

إن ما ذكره القدماء من تقسيم لمعاني الإضافة (أي تفسير العلاقة بين المتضايفين مجملة في معاني اللام ومن وفي أحياناً، واعتبارها نوعاً من المشترك اللفظي في أحيان أخرى) هو أصل القضية، وما ذكره المحدثون هو تحليل أكبر للقضية وتوسيع لفهم جوانبها وأعمق لمفاهيم موجودة ضمناً، تم التركيز عليها وفصلها عن بعضها من قِبل المحدثين؛ لتتضح القضية بعد ذلك بالدراسة والتحليل.

إني من خلال الدراسة والتحليل الذي قدمه د. غاليم حول مفهوم العلاقة الدلالية في باب الإضافة أتفق مع هذه النظرة الجديدة لتلك العلاقة وذلك لتحديد الآتي:

(١) النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، ١٠١.

(2) The Meaning of the Genitive, A Case Study in Semantic Structure and Semantic Change, Unpublished manuscript, University of California, Berkeley.

(٣) انظر: لفظة نفس في القرآن الكريم دراسة دلالية معجمية، د.عطية سليمان، مجلة كلية آداب المنوفية، فبراير ٢٠٠٨.

١ـ الجانب الإبداعي في الربط بين المتضايفين.

٢ـ بيان تنوع العلاقة الدلالية واعتبارها أنواعاً متعددة متجددة لا تنتهي، مما أعطى الجانب الإبداعيّ صفة الاستمرار والتجدد والتطور الذي يقوم على الحاجات المتجددة والمبتكرة للمتكلمين المبدعين والمستمرة بصورة عفوية؛ فتصدر كلماتهم إرادية ولا إرادية يومياً.

٣ـ التوليد الدلالي في المتضايفين بإيجاد دلالات جديدة من ألفاظ قديمة معروفة سلفاً في شكل مضاف ومضاف إليه.

٤ـ التنوع الدلالي في استخدام المتضايفين يشمل كل مناحي الحياة يبدو ذلك من خلال تطبيق نظرية الحقول الدلالية على المركبات الإضافية الواردة في أحد كتب الإضافة مثل: ثمار القلوب للثعالبي، فقد قسمه صاحبه لأبواب تشبه الحقول الدلالية، وتشمل كل مناحي الحياة في عصره بل من الممكن رؤية الصورة الاجتماعية الخاصة بهذا العصر وتلك البيئة من خلال دراسة عبارات الثعالبي في كتابه ثمار القلوب.

٥ـ أن مكونات بنية الأسماء (الوحدات المعجمية عموماً) التي قسمها بوستيوفسكي: ١٩٩٥ إلى خاصية صورية وخاصية تكوينية وخاصية غائية وخاصية منفذية؛ ما هي إلا عملية إفراغ للمحتوى الدلالي لبنية الوحدة المعجمية، تمكن المتكلم المبدع من أن يوظفها لابتكار مركبات إضافية جديدة، أو استخدام مركبات إضافية موجودة سلفاً في توليد دلالات جديدة لهذه المركبات الإضافية لم تكن معروفة من قبل بالربط بين تلك الخاصيات المختلفة.

نماذج للعلاقة الدلالية بين المتضايفين:

مفهوم الملكية :

إن مفهوم الملكية مفهوم مشتق وليس أولياً، فهو مشتق من الخاصية الغائية إذ لا نملك إلا الأشياء التي لها قيمة معينة؛ لأننا نستعملها لغاية مخصوصة، فمفهوم الملكية مفهوم مركب لا يقوم بدون عناصر تكونه منها خاصة مفهوم مراقبة الشيء، والحق في استعماله فمن البنيات التي لا يظهر فيها من هذه العناصر سوى الحق في الاستعمال :

أ ـ مكتب الرئيس .　　　　　　ب ـ سيارة الرئيس .

أي المكتب أو السيارة الموضوعان رهن إشارة الرئيس أو استعماله ما دام رئيساً، فيدل الاسم الرأس على شيء يستعمله المضاف إليه عوض أن يكون في ملكه، فلو افترضنا أن معنى الملكية يشكل المعنى النمطي النموذجي للجر في الإضافة، فيصبح معنى الملكية الأساس للعلاقة التي تربط بين المتضايفين، وهذه العلاقة تفسر سبب اقتران هاتين الكلمتين ببعضهما، وعلى ذلك يمكن ملاحظة ما يتفرع عن تلك العلاقة (الملكية) من العلاقات الاستعارية أو التماثلات التصورية الجزئية التي تربط أفقياً (أي تربط معنى معيناً بالنمط النموذجي أو بمعنى آخر مربوط به) بين بعض معاني الإضافة، وعلى هذا يصبح الباب مفتوحاً لإدخال كثير من معاني الإضافة التي تربط بين المتضايفين من خلال علاقة الملكية، وفي إطار علاقات استعارية، أو تماثلات تصورية جزئية.

يذكر دغاليم بعض هذه الاستعارات وهي لا تعني كل ما يمكن أن يدخل في هذا الباب من استعارات؛ بل يمكن أن يضيف البحث التطبيقي صوراً لاستعارات أخرى سوف تظهر بعد ذلك، هذه الاستعارات أو قل الروابط الاستعارية تربط أفقياً بين معنى معين بالنمط النموذجي أو بمعنى آخر مربوط به، ولذا يمكن تصور نمو العلاقة بين المتضايفين نحو:

أولاً: العلاقة مع النمط النموذجي (تقوم أساساً على علاقة الملكية).

ثانياً: علاقة تقوم على الروابط الاستعارية بنوعيها (عمودية ـ أفقية).

فمن العلاقات التي تقوم على روابط استعارية أفقية:

١ ـ من المملوك إلى الجزء [المعاني المادية]: إننا نعتبر أجزاء الشيء ملكيات له وهي في الواقع بعض منه، وقياساً على ذلك نرى في (يد زيد) توسعاً استعارياً لمعنى الملكية الموجود في عبارة (دراجة عمرو)، أي الذي سوغ لنا هذا التركيب (يد زيد) استعارة ذلك من تركيب (دراجة عمرو) والقياس عليه فهو النمط النموذجي، فيصبح التركيب (يد زيد) متطوراً عن التركيب السابق بناء على وجود رابط استعاري أفقي بينها، يقوم على علاقة الملكية ويكون توسيعاً للعلاقة بالرابط الاستعاري، ويكون فيه معنى (من) هو التبعيض؛ فيد زيد بعض منه.

وبعد ذلك تشيع هذه الاستعارة وتنتشر حتى يختفي الجانب الاستعاري منها وتصبح استعارة ميتة، وفي هذه الحالة يقوم المتكلم بإبداع استعارات جديدة قياساً على ذلك .

٢ ـ من الكل إلى الأصل (أو المصدر) [المعاني المادية]: من معاني التبعيض هذه العبارة (غصن الشجرة) أي غصن من الشجرة هو تطور للنمط النموذجي (دراجة عمرو) فهي ملك لعمرو، هذا الغصن ملك لتلك الشجرة، فهنا تقوم علاقة بين الكل (الغصن) وأصله (الشجرة) وهي علاقة استعارية تربط بين الغصن والشجر، كما ربطنا بين الماء وعينه في عبارة (ماء العين)، وهنا أيضاً ربط باستخدام علاقة الملكية فيصبح الغصن ملكاً للشجرة، والماء ملكاً للعين .

٣ـ من أصل الحدث (أو مصدره) إلى سببه [المعاني المجردة]: ينظر إلى أسباب الأحداث على أنها أصول أو مصادر مجردة كما في (هو يعاني من الوحدة) فيكون معنى السبب في ألم الوحدة توسعاً دلالياً في معنى الملكية، حيث الوحدة تملك أشياء منها الألم فهي مصدر الألم ومالكته، فهذا بناء علي رابط استعاري مفاده أن الأسباب أصول أو مصادر.

هذه العلاقة بين (الألم) كأصل الحدث أو مصدره وبين (الوحدة) التي هي سببه وتقوم عليه تماثل النمط النموذجي وهو (دراجة عمرو)، حيث يحمل هذا التركيب الإضافي معنى الملكية، فهذا الألم ملك للوحدة وهو الرابط الاستعاري في هذا التركيب، وهو أيضاً يحمل معنى التبعيض، فالألم بعض من الوحدة، فيظل هذا النمط مرتبطاً بالنمط النموذجي الدال على معنى الملكية والتبعيض.

٤ـ من المالك إلى المُعاني [المعاني المجردة]: يعتبر المُعاني للشيء مالكاً لمعاناته نحو (لا يملك هذا الرجل شفقة ولا رحمة) فيبدو أن هناك علاقة تربط بين معنى المُعاناة في (حزن زيد) ومعني الملكية في عبارة (دراجة عمرو)؛ بناء على رابط استعاري مفاده أن المُعاني مالك لمعاناته، إن هذه الاستعارة جاءت مرتبطة بالنمط النموذجي الدال على الملكية في: دراجة عمرو؛ والملكية في: حزن زيد، فتكون العلاقة الاستعارية قائمة على استعارة صفة الملكية من النمط النموذجي إلى المُعاني أي زيد، ولا يصح هنا معنى (من) لعدم وجود معنى التبعيض، ولكن يصح اللام؛ فنقول (حزن لزيد) ولا نقول (حزن من زيد) كما يقول القدماء إذا لم يصح تقدير من في الإضافة، فيمكن أن نقدر اللام، وهي الأصل في التقدير عندهم، يقول ابن عقيل: (الإضافة تكون بمعني اللام عند جميع النحاة، وزعم بعضهم أنها تكون أيضاً بمعنى (من) أو (في) ... وضابط ذلك أنه إن لم يصلح إلا تقدير (من) أو (في) فالإضافة بمعنى ما تعين تقديره وإلا فالإضافة بمعنى اللام، فيتعين تقدير (من) إن كان المضاف إليه جنساً

للمضاف نحو (هذا ثوب خز، وخاتم حديد) والتقدير: هذا ثوب من خز وخاتم من حديد، ويتعين تقدير (في) إن كان المضاف إليه ظرفاً واقعاً فيه المضاف نحو (أعجبني ضرب اليوم زيداً) أي ضرب زيد اليوم[1]، وهذا يعني صحة تقدير اللام هنا، ولا يصح تقدير (من) لأن الحزن ليس من جنس زيد، كما في (ثوب خز) فالثوب من جنس الخز وهو مصنوع منه، وفي (خاتم من حديد) فالخاتم مصنوع من الحديد فهو من جنسه .

٥ـ من المالك إلى الضحية [المُعاني المجردة]: إن ما يقع لنا من أحداث هي ملك لنا كما في (حادثة زيد)، فالعلاقة هنا تقوم على رابط استعاري مأخوذ من النمط النموذجي (درجة عمرو) على معنى الملكية فالحادثة ملك زيد، فجاز لنا أن نستعير معنى الملكية كرابط استعاري كما في امتلاك عمرو للدراجة، تمتلك الضحية [زيد] الحادثة على أساس رابط استعاري مفاده أن ما يقع لنا ملك لنا وهنا نقدر اللام أي حادثة لزيد، ولا يصح حادثة من زيد، فلا يصح تقدير [من] فالحادثة ليست من جنس زيد وليست بعضاً منه.

٦ـ من الأصل (أو المصدر) إلى المكون المادي [المعاني المادية]: يقول د. غاليم: تبين الجمل التالية أن الحرف الدال على الأصل (أو المصدر) في نحو (هذا الخمر من العنب) يستعمل للإحالة على المكون المادي في نحو (الفولاذ مصنوع من الحديد) و (هذا الخاتم من ذهب صاف) فيبدو أن معنى المكون المادي في نحو (خاتم ذهب) توسع لمعنى الأصل أو المصدر في نحو: خمر العنب، بناء على الرابط الاستعاري: المكونات المادية أصول أو مصادر[2]، هذا القول يدل على ارتباط المكون المادي بأصله فهو أصل له وملك له، وهنا يمكن أن نقدر (من) لأن الخاتم من جنس الذهب وبعض منه بما يمكن أن نسميه: (الملكية والتبعيض).

٧ـ من الجزء المكون إلى الخاصية المادية [المعاني المجردة]: الخصائص المميزة تعد أجزاء مكونة نحو: الصفات المكونة لشخصية زيد تعد أجزاءً مكونة له، لأن هناك علاقة بين معنى الجزء المكون في (حديد السيارة) ومعنى الخاصية المميزة في نحو (قوة الشخصية)، فكما نقول: إن من مكونات السيارة الحديد فمن مكونات الشخصية (القوة) كصفة لها لا يمكن عزلها عنها وهي ملك للشخصية، وهنا يأتي معنى الملكية ولا يأتي معنى التبعيض؛ فليست القوة بعضاً من الشخصية كما في خاتم من ذهب فالخاتم بعض من الذهب، ويمكن أن يُفصل عنه ويبقى كبعض منه أي من الذهب، ولكن لا يمكن فصل القوة في مكان منعزل عن الشخصية ونقول هذا جزء من الشخصية، فلا يوجد هنا معنى التبعيض بل الملكية فقط، فالقوة ملك للشخصية .

٨ـ من المملوك إلى القريب [المعاني المجردة]: قال غاليم: إن هناك رابطاً بين علاقة الملكية وعلاقة القرابة في نحو: ابن هند، أساسه استعارة تصويرية مفادها أن الأقارب ملكيات، وتدل عليها جمل نحو: وهب زيد ابنه لحرب التحرير، ولا يملك عمرو أخوالاً[3].

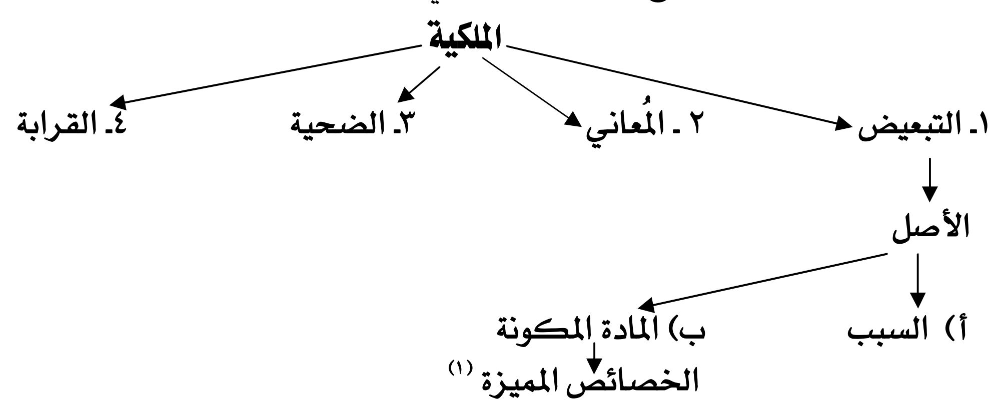
إن النمط النموذجي (دراجة عمرو) تقابله الاستعارة التصويرية (ابن هند) وهو يقاس عليه، بمعنى أن هند تملك ابناً، فالأقارب ملكيات وهي ليست بعض منه.

تربط مثل هذه الاستعارات مختلف معاني الجر في الإضافة ببعضها والنمط النموذجي، والنتيجة مقولة مُبَنْيَنَة من المعاني تقوم على نمط نموذجي يسمح بعدد من التوسعات الاستعارية، لكن هذه الاستعارات ليست كل ما في الأمر فلدى المتكلم قدرة غير محدودة على الخلق والإبداع، تمكنه من

---

(١) شرح ابن عقيل، ج/٣، ص٤٣.
(٢) النظرية اللسانية والدلالية العربية المقارنة، ١٠٣.
(٣) المرجع السابق، ١٠٤.

خلق وإبداع عدد من الاستعارات، وإقامة كثير من العلاقات بين كلمتي الإضافة، ويمكن متابعة كل جديد في تلك العلاقات والاستعارات من خلال تحليل عبارات ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ويمكن أن نجمل العلاقة بين المتضايفين على أساس معنى الملكية، وما يحدث لها من توسعات استعارية أفقية. كما يتضح من الشكل الآتي:



يذكر غاليم: إن هذا الشكل يظهر أن المعاني ليست كلها مربوطة مباشرة بالملكية، لكنها كلها مبررة على أساس معنى الملكية باعتبار أن الرابط الاستعاري يتم عبر أكثر من مرحلة واحدة[٢] المفهوم الذي ذكره د. غاليم وهو مرور هذا الرابط الاستعاري بعدة مراحل حتى يتحول من معنى إلى معنى آخر يمكن تأكيده من خلال الدراسة التطبيقية على عبارات إضافية مختلفة، فنرى التحول الدلالي للعبارة من مرحلة التكوين التي تبنى فيها الدلالة الأساسية للعبارة، وما تقوم عليه من علاقة تربط بين المتضايفين إلى مرحلة الإبداع، وفيها يتم توظيف هذه العبارة لتحمل دلالات جديدة، تسد بها ثغرات في اللغة كانت شاغرة بالأمس، وتلبي بها حاجة المجتمع المتزايدة كل يوم من خلال إطلاعها على كل جديد حضاري وفكري وعلمي مما يجعل المجتمع مواكباً للتطور الذي يحيط به من كل مكان. إذن، كيف تتم دراسة تلك الظاهرة ؟

نتيجة لأن دلالة البنية الإضافية تنتج عن تأليف مشترك بين كلمتي الإضافة فيجب أن:

١ـ ننظر في أهم مكونات بنية الأسماء (المضاف والمضاف إليه) كالخاصية الصورية والتكوينية والغائية .... بشكل أوسع وأدق مما يوجد في أغلب الأنحاء.

٢ـ ثم ننظر في العلاقة بين معاني الإضافة على افتراض وجود روابط استعارية تربط هذه المعاني ببعضها، وكذلك بنمط نموذجي أساسه علاقة الملكية من جهة ثانية .

٣ـ من خلال هذين العملين السابقين يمكن الوصول إلى الجانب الإبداعي في استعمال المتضايفين ذلك عندما نرى كيف يوظف المتكلم المثالي المتضايفين في الدلالة على معان جديدة مولدة ربما لم يُسبق بها من قبل .

يمكن في ضوء ما سبق تحليل العلاقة بين المضاف والمضاف إليه، واكتشاف كل علاقة جديدة يبدعها المتكلم كل يوم تُضاف إلى العلاقات التي أشار إليها د. غاليم، وسوف يثبت ذلك البحث الحالي مما يوضح ثراء اللغة وقدرتها على النمو واستيعاب كل جديد من المعاني والأفكار التي تظهر فيها، وتواكب التطور الاجتماعي والحضاري والعلمي والفكري من خلال وسائلها المختلفة، ومن بين هذه الوسائل (توليد دلالات جديدة بكلماتها) من خلال تكوين مركبات إضافية تجمع بين كلمتين فقط، ينتج عنهما عدد لا نهائي من الدلالات .

---

(١) النظرية اللسانية والدلالية العربية المقارنة، ١٠٤

(٢) المرجع السابق: ١٠٤

الفصل الرابع

العلاقة الدلالية بين المتضايفين
دراسة تطبيقية في كتاب
(ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) للثعالبي

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي

الكتاب والمؤلف :

(ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) لأبي منصور الثعالبي: قال عنه أبو منصور الثعالبي في مقدمته: "بناء هذا الكتاب على ذكر أشياء مضافة ومنسوبة إلى أشياء مختلفة يُتمثل بها، ويَكْثُرُ في النظم والنثر على ألسن الخاصة والعامة استعمالها كقولهم: غراب نوح ونار إبراهيم وذئب يوسف وعصا موسى،... وقد خرجتها في أحد وستين باباً ينطق كل منها بذكر ما يشتمل عليه أولاً ويفصح عن الاستشهاد وسياقه المراد آخرا، وما منها إلا ماً يتعلق من المثل بسبب، ويوفي اللغة والشعر علي طرف، ويتصرف في التشبيهات والأستعارات بسهم، ويأخذ من الأخبار والأنساب بقسْم، ويحيل في خصائص البلدان والأماكن قدحا، ويجري في أعاجيب الأحاديث شوطاً [١].

يفهم من عنوان هذا الكتاب (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) أن الرجل يتناول في كتابه شيئين مختلفين هما: عملية الإضافة (كقضية نحوية) وعملية النسب (كقضية صرفية) ولكن حقيقة الأمر غير ذلك؛ فهو يتناول موضوعا واحدا فقط وهو الاسم المضاف، جامعا كل التراكيب الإضافية التي قيلت في عصره، وما سبقه من عصور، أما قضية النسب كقضية صرفية لم ترد في كتابه ولا يعنيها بعنوانه الذي تضمن تلك الكلمة (المنسوب)؛ ولكن العنوان المسجوع فرضها عليه، فهو لكي يحدث إتباعا في عبارته مع كلمة قلوب جلب لها كلمة منسوب، وهي في حقيقتها لا تخرج عن مضمون الكتاب، وهو الإشارة إلي عملية الإضافة التي تقوم علي إسناد المضاف إلى المضاف إليه؛ فينسب إليه، ويصبح ملكا له وجزءًا منه، فهي تقوم علي فكرة نسب المضاف إلى المضاف إليه .

هذا الكتاب بأبوابه المختلفة جاء في شكل حقول دلالية في تقسيمه، حيث قسمت نظرية الحقول الدلالية الألفاظ إلى موجودات ومجردات وعلاقات وأحداث، فإذا قمنا بمقابلة بين أبواب الكتاب المختلفة وأقسام الألفاظ بتلك النظرية فسنُدْخل ضمن قسم :

١ـ **الموجودات:** أبواباً من الكتاب مثل: باب أعضاء الحيوان وباب الشجر والنبات واللباس والثياب والسلاح وما يجانسه وغيره.

٢ـ **المجردات:** أبواباً من الكتاب مثل: باب في الأزمان والأوقات، وباب في الليالي المضافة، وباب في الآثار العُلوية، وباب في الأدب وما يتعلق به وغيره.

٣ـ **الأحداث:** أبواباً من الكتاب مثل: باب في ذكر النساء وما ينسب إليهن، وفي الآباء المضافين الذين لم يلدوا، والأمهات المضافات اللواتي لم يلدن، والبنين والبنات الذين لم يولدوا وغيره .

٤ـ **العلاقات:** أبواباً من الكتاب مثل: باب العلاقة الاستعارية، وباب في رأس المال ووجه النهار وعين الشمس وغيره .

يشير الثعالبي إلى ارتباط مادته البحثية بقضايا مختلفة قائلاً: ما منها إلا ما يتعلق من المثل بسبب، وتوفي من اللغة والشعر على طرف، ويضرب في التشبيهات والاستعارات بسهم، ويأخذ من الأخبار والأنساب بقسم، ويُحيل في خصائص البلدان والأماكن قدحاً، ويجري في أعاجيب الأحاديث شوطاً[٢].

هذا يعنى قيام الرجل بتحليل الإضافة في ضوء تلك العلوم وارتباطها بها؛ لبيان كيف تنظر تلك العلوم للإضافة ومساهمتها في تحليلها. لهذا يمكن جعل الكتاب:

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص٤.

(٢) المرجع السابق، ٥.

أ) ميداناً للدراسة التطبيقية، نتعرف من خلاله على أنوع العلاقة بين المتضايفين على اختلافها باختيار بعض أبواب الكتاب كنماذج لهذه العلاقات الدلالية.
ب) التعرف علي مدى إدراك القدماء للأسس التي تقوم عليها العلاقات بين المتضايفين.
ت) معرفة علم القدماء بالبنية التصورية، وكيفية تفسيرهم لها، ودورها في بناء المعني.
ث) دقة ملاحظة القدماء للعبارات التي تشيع بين الناس في حياتهم اليومية، وتفسيرهم لها.
ج) سعة علم القدماء بالأحداث التاريخية، واستخدامها لتفسير كثير من العبارات الإضافية.
ح) كثرة ربط القدماء تلك العبارات بأحداث دينية مختلفة، وأنبياء الله وملائكته ورسله.
خ) استخدامهم الحديث النبوي في تفسير كثير من العبارات الإضافية.، لارتباطها به

فيما يضاف إلى اسم الله تعالى عزّ ذكره [1] :

عند المقابلة بين حقل الموجودات في نظرية الحقول الدلالية وبين أول أبواب كتاب ثمار القلوب نجد أن هناك تطابقاً بينهما، حيث عنوانه (فيما يضاف إلى اسم الله تعالى عز ذكره) هو تعالى مُوجِد الموجودات، لذا يصح أن نضيف إليه كل الموجودات مما في الكون كله، وفي الجهة الأخرى نجد أن أول الحقول الدلالية "حقل الموجودات".

لقد أضيفت أشياء كثيرة إلى الذات الإلهية تعظيماً لها مادية ومعنوية، ذكرها في أول الباب (أهل الله ـ بيت الله ـ رسول الله ـ كتاب الله ـ خليل الله ـ روح الله ـ أرض الله ـ قوس الله ـ رمح الله ـ كلب الله ـ نار الله ـ شمس الله ـ ظل الله ـ سيف الله ـ أسد الله ـ سعد الله ـ ناقة الله ـ نهر الله ـ خاتم الله ـ رحمة الله ـ ستر الله ـ أمان الله ـ يد الله ـ عمال الله ـ سبيل الله ـ باب الله ـ نور الله ـ حراس الله ـ ميزان الله ـ خالصة الله ـ عين الله ـ موائد الله ـ أمر الله ـ خلافة الله ـ طراز الله ـ لعنة الله ـ سجن الله ـ بنيان الله ـ وفد الله ـ صبغة الله)[2].

البنية التصورية: العلاقة بين المتضايفين:

تقوم العلاقة الدلالية بين لفظ الجلالة وبين هذه الأشياء على علاقة الملكية؛ حيث كل هذه الأشياء ملك لله، وهنا يأتي الارتباط بالنمط النموذجي (دراجة عمرو) على اعتبار أن الملكية تشكل معنى النمط النموذجي للجر في الإضافة، ولا توجد استعارة في العبارة من جهة المضاف إليه؛ فالأشياء كلها ملك لله علي وجه الحقيقة لا المجاز.

أما من جهة المضاف فقد تنوعت العلاقة الدلالية التي تربطه بالمضاف إليه فهي:

١ ـ إضافة حقيقية. ٢ـ إضافة تخصيص. ٣ ـ إضافة تعظيم. ٤ ـ إضافة إبداع.

أولاً: إضافة حقيقية:

في قولنا (أرض الله) المقصود بالأرض هنا الأرض التي نمشى عليها على وجه الحقيقية فهي ملك لله، فلا يوجد اختلاف عن النمط النموذجي (دراجة عمرو) فتقوم العلاقة هنا على عنصر الملكية ونقدر حرف الجر اللام أي الأرض لله، وكذلك عبارة نار الله وجنة الله؛ فلا يقصد بهذه الكلمات أشياء أخرى غير ما تعنيه على وجه الحقيقة فهي تفيد التحديد والشمول لكل الأرض، وهي أيضاً أرض واحدة، وكذلك النار فهي واحدة، ومثلها رحمة الله ورزق الله وبيت الله.

---

(١) هذا الباب هو الباب الأول بالعنوان نفسه كما جاء في كتاب الثعالبي بالاسم والتبويب والترتيب نفسه، وكل العناوين المقبلة منقولة عن كتاب الثعالبي.
(٢) ثمار القلوب، ٣٥.

ثانياً: إضافة تخصيص:

هو أن يكون المضاف لفظاً يشمل أشياء كثيرة، ثم يخصص لشيء واحد نحو: (رسول ـ كتاب) فالرسل كثر مثل (إبراهيم ـ إسماعيل ـ موسى ـ عيسى ـ محمد) وهم جميعا رسل الله، ويصح إطلاق كلمة رسول الله على كل واحد منهم، ولكن شاع تخصيص هذا اللفظ بإطلاقه على محمد ﷺ فأصبح المقصود بهذه العبارة (رسول الله) محمداً، وإن صح إطلاقها عليه وعلى غيره، فهنا تكون العلاقة بين المتضايفين علاقة ملكية كما فيما سبق، ولكن مع إضافة جديدة وهي تخصيص المقصود بالمضاف ليخص فرداً واحداً ممن يشملهم لفظ المضاف، وليس التخصيص في المضاف إليه؛ لأن المالك واحد لكل مضاف منهم (محمد. موسى) هو الله تعالى، وكذلك في كلمة كتاب في (كتاب الله) يقصد بها القرآن الكريم، ويصح أن تطلق على التوراة والإنجيل فكلها كتب الله، وهذا التحديد في المقصود باللفظ المضاف جاء من العُرف وليس من حقيقة اللفظ.

ثالثاً: إضافة تعظيم:

إضافة الشيء إلى الله تعظيماً لهذا الشيء كما في: ناقة الله ـ وأهل الله، فالعلاقة بين المضاف والمضاف إليه علاقة ملكية كما في النمط النموذجي فكل النوق ملك لله، ولكن اختصت ناقة صالح بهذه الإضافة تعظيماً لها، وكذلك أهل الله وهم قريش أُضيفوا إلى الله تعظيماً لهم لما فعلوه من سقاية الحجيج وعمارة البيت فهم سدنته .

رابعاً: إضافة إبداع:

المقصود بها المرحلة الثانية من الإضافة بعد مرحلة التكوين، أي بعد صناعة المركب الإضافي كما في (دراجة عمرو) وتعنى ملكية عمرو لهذه الدراجة تأتى مرحلة الإبداع، حيث يبدع المتكلم في توظيف عبارة تقوم على علاقة معروفة وهي علاقة الملكية في نحو: أسد الله، وهي تشير إلى ملكية حقيقية، وهي أن الأسد كحيوان ملك لله وكذا سائر الحيوانات؛ فجعله المتكلم إنساناً في هذه العبارة (أسد الله) ويقصد بها حمزة بن عبد المطلب، فكلمة أسد في هذه العبارة ليس المقصود بها هذا الحيوان المعروف، بل يقصد بها إنساناً اتّصف بالشجاعة، سمى بهذا الاسم لأن فيه هذه الصفة.

١ـ تحليل العبارة في ضوء نظرية التحليل التكويني:

تقوم النظرية التحليلية التكوينية بشرح العلاقة بين اللفظين التي سمحت بهذا التركيب، ويمكن عن طريقها أن نحلل السمات الانتقائية الخاصة بكل كلمة من الكلمتين كالآتي :

مقابلة بين السمات الانتقائية لكلمتي: (أسد كحيوان شجاع ـ حمزة كإنسان شجاع)

الاسم	إنسان	حيوان	صفة: الشجاعة	القوة	الاستئناس
أسد كحيوان	ـ إنسان	+ حيوان	+ شجاع	+ قوى	ـ أنيس
حمزة العم	+ إنسان	ـ حيوان	+ شجاع	+ قوى	+ أنيس

٢ـ تكوين المعني:

المعني الناتج عن الجمع بين الكلمتين في عبارة واحدة (أسد الله) أنه رجل كالأسد، بهذا التحليل يكون قد تمت المقابلة بين شقي العبارة وبيان المكونات الدلالية لأصل المعني في العبارة.إن كل من المخلوقين يختلف عن الآخر في النوع وفي كثير من الصفات، ويتفق في بعضها، كما في صفة الشجاعة التي تعد الرابط الاستعاري الذي سمح بإنتاج هذا المركب الاسمي.

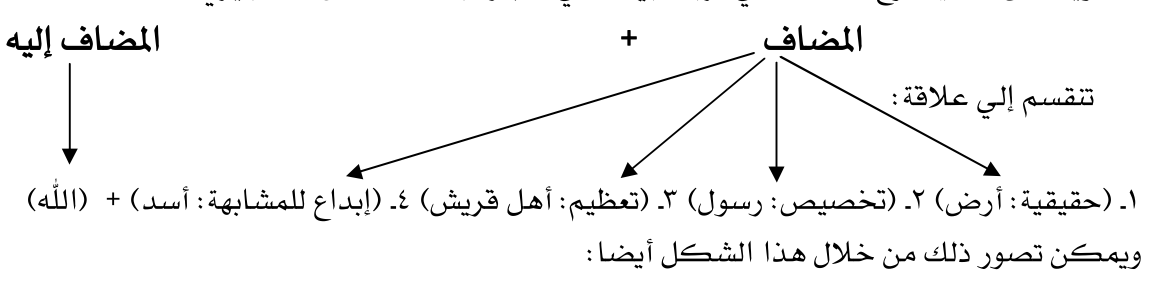
٣. نظرية العلاقات الدلالية:

ثم تأتي نظرية العلاقات الدلالية لتزيد الأمر وضوحاً، يقول غاليم: وإجمالاً فإن النظر في البنية الدلالية للرأس وللرأس المضاف إليه يمكن أن يسمح بتفصيل أنماط العلاقات الدلالية في البنيات الإضافية بشكل أوسع وأدق مما يوجد في أغلب الأنحاء ومنها التقليدية، إننا نحتاج إلى افتراض أقوى يذهب إلى غير هذا، أي إلى وجود علاقة ما بين معاني البنيات الإضافية تقوم على نوع من التعدد الدلالي أو التماثلات التصورية (الجزئية) وإلى أن هذا التعدد ليس اعتباطياً ويمكن مثل هذا الافتراض أيضاً من تفسير كون هذه المجموعة من المعاني المخصوصة دون غيرها يعبر عنها بنفس البنية التصورية وذلك بتبيان الرابط الاستعاري، أو التصوري الجزئي الذي يربط هذه المعاني بعضها ويربطها بنمط نموذجي[1] في هذا الإطار الذي ذكره غاليم يمكن تفسير العلاقة بين البنيات الإضافية الآتية: (أسد الله) فالعلاقة بين أسد ولفظ الجلالة (الله) علاقة ملكية كما في النمط النموذجي.

لكن الجانب الإبداعي يأتي من العلاقة بين كلمة أسد التي نقصد بها حيوانا معروفا، وما تعنيه في الواقع الخارجي، وهو حمزة بن عبد المطلب، وذلك بناء على رابط استعاري، وهو وجود شبه بينهما هو صفة الشجاعة، فالعلاقة هنا تربط بين لفظ منطوق (أسد) وآخر غير منطوق في العبارة وهو حمزة، وليس هنا تعدد من ناحية العلاقة بين المضاف والمضاف إليه كالعلاقات التي ذكرها د. غاليم، بل بين اللفظ المنطوق أسد وغير المنطوق حمزة، وهنا يأتي وجه الإبداع في الربط بين المنطوق وغير المنطوق، بناء على رابط استعاري وهو الشبه الذي بين حمزة والأسد، أما ما ذكره د. غاليم من علاقات نحو: من المملوك إلى الجزء مثل: يد زيد، فهي علاقة تربط لفظين منطوقين المضاف والمضاف إليه، وكذلك باقي علاقاته. وكذلك كثير من الأمثلة التي ذكرها الثعالبي التي تربط بين الكلمة الأولى في العبارة المنطوقة وبين شيء غير منطوقة، مثلها: سيف الله = خالد بن الوليد، كلب الله = الأسد الذي أكل عتبة بن أبي لهب، رمح الله = الكوفة، وفد الله = الحجيج، موائد الله = كناية عن الأسواق، سجن الله = الحمى. يمكن أن نلخص أنواع العلاقات التي تربط بين المتضايفين ومراحلها المختلفة في الجدول الآتي:

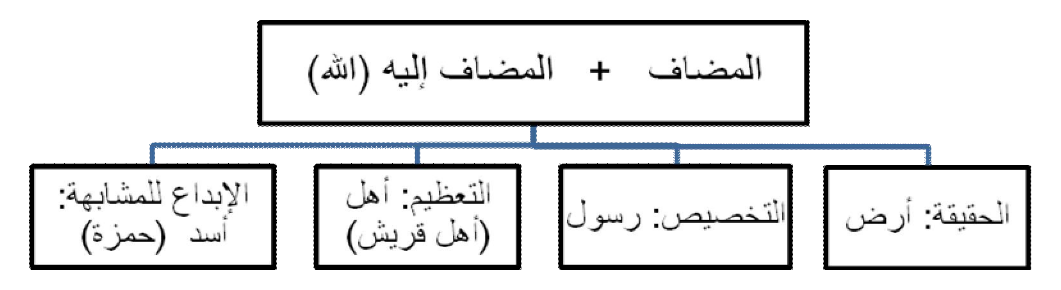
نوع المرحلة	المثال	نوع العلاقة	التقدير	الملاحظات
مرحلة التكوين	دراجة عمرو	الملكية	اللام: أي لعمرو	نمط النموذجي
مرحلة التكوين	أرض الله	الملكية	اللام: أي لله	مشابها للنمط
مرحلة تخصيص	رسول الله	الملكية	اللام: أي لله	خصص لمحمد (ص)
مرحلة الإبداع	أسد الله	الملكية	اللام: أي لله	حمزة برابط المشابهة
مرحلة الإبداع	سيف الله	الملكية	اللام: أي لله	خالد برابط المشابهة

ويمكن تحديد نوع العلاقة التي تربط بين شقي العبارة بهذا الشكل التشجيري:



ويمكن تصور ذلك من خلال هذا الشكل أيضا:

(١) النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، ١٠٠.



البنية العصبية:

في هذا الجانب ندرس الشق الثاني من عملية بناء الإضافة؛ وهي العمليات العقلية التي تتم في ذهن المتكلم حتى يبدع هذا المركب الاسمي، الجديد.لقد انطلق بناء تسمية هذه المركبات في ذلك الباب كما صنفه الثعالبي مقترناً باسم الله فكل شيء هنا قد أضيف إلى اسم الله وليست صفاته؛ فقلنا: بيت الله وناقة الله ... الخ؛ لكننا لم نقل ناقة الرحمن، فتلك صفة من صفات الله وهو مركب إضافي أيضاً، لكن الثعالبي لم يتكلم عنه لأنه لم تكن موجودا في عصره ولا العصور التي تليه، لماذا؟ لأن الإضافة هنا تقوم علي علاقة الملكية الحقيقية؛ فلا بد أن نوضح المالك الحقيقي للشيء (كما في عقد الملكية المسجل) فمالك الناقة لا بد أن نذكره ونميزه باسمه لا بصفته، فما أضيف إلى اسم الله أخذ من اسم الله الأعظم الجلال والعظمة وأحقية الملكية، أما صفاته فقد وصف بها كثير من خلقه، نحو: كريم ورحيم؛ لكن شتان بين المضاف إليه في الحالتين بين الله تعالى وعباده عندما نسمى رجلاً كريماً؛ وبين صفة الكرم عند إسنادها لله، لذا يظل لاسم الله (الله) الجلال والعظمة، من هنا كانت عناية الثعالبي وكذلك مجتمعه كله بما أضيف لاسم الله الأعظم.، ولذا بدأ كتابه بهذا الباب (ما أضيف لاسم الله) ،وتعد الإضافة إلى اسم الله دليلاً على بلوغ قمة التعظيم للشيء أو الصفة داخل ذهن المتكلم، لأنه قد بلغ الغاية في وصفها بإضافتها لله تعالى.

تحليل المركب الاسمي في إطار البنية العصبية:

يتكون هذا المركب من شقين " ناقة الله - بيت الله - أهل الله" الشق الأول من العبارات هو اسم الله، فيه جلال وعظمة جعلت المتكلم يختاره لإضفاء روح القداسة والعظمة على المضاف؛ فأضافه إلى غاية المنتهى في الصفة وهو اسم الله الأعظم سبحانه وتعالى، وكان ملخص العملية العقلية هنا هي اتجاه الذهن إلى أعظم ما في الكون مما هو مخزن في ذاكرته من أشياء تعد منتهي الغاية فيها؛ لينسب إليها مضافه، فالمتكلم يتجه ناحية هذا الاسم بدافع الحاجة إلى تعظيمه وتمجيده للمضاف، إنها ثورة انفعالية داخله كان سقف القول عنده هو اسم الله الأعظم. فقد بني في الأساس القضوي أو التصوري في ذهنه أن لا عظمة بعد الله لهذا أسند مضافه إليه، ثم يأتي المضاف في صور متنوعة لينتمي لمثيرات مختلفة، فكل عبارة تنتمي إلى منبه أو مثير أثار مدارك بعينها في ذهن المتكلم حتى اختاره ليضاف لاسم الله.

وسأحلل بعض العبارات التي ذكرها الثعالبي في إطار هذا المفهوم وهي: أهل الله - بيت الله - رسول الله - كتاب الله - خليل الله - روح الله - أرض الله - قوس الله - رمح الله - كلب الله - نار الله - شمس الله - ظل الله - سيف الله - أسد الله - سعد الله - ناقة الله - نهر الله - خاتم الله - رحمة الله - ستر الله - أمان الله - يد الله - عمال الله - سبيل الله - باب الله - نور الله - حراس الله - ميزان الله - خالصة الله -

عين اللّه ـ موائد اللّه ـ أمر اللّه ـ خلافة اللّه ـ طراز اللّه ـ لعنة اللّه ـ سجن اللّه ـ بنيان اللّه ـ وفد اللّه ـ صبغة اللّه[1].

كان مُجْمل القول في تلك العبارات أن اسم اللّه لا يضاف إلا لشيء محمود لدى الناس جميعا ، أراد المتكلم المبالغة فيه فأضافه لاسم اللّه فوصل إلى الغاية بإضافتها له ، ولذا يمكن اعتبار أن المثير لإدراك المتكلم فيها ينبع من رؤيته لجانب عظيم في الشيء فنسبه للّه.

الجدول الآتي يبين بناء ونمو معني العبارة في الذهن من تصور قضوي إلى معنى جديد :

العبارة	أساس قضوي	أساس دلالي	تكوين معجم	المنبه المثير	معني جديد
أهل اللّه	علو المكانة	تعظيم قدرهم	أهل + اللّه	مثير معنوي	أهل قريش
أسد اللّه	القوة الشديدة	معنى القوة	أسد + اللّه	مثير مادي	حمزة
لعنة اللّه	سخط وحنق	شيء مكروه	لعنة + اللّه	مثير معنوي	كل مبغوض
كلب اللّه	قمة وغايةالشر	مصدر الشر	كلب + اللّه	مثير مادي	أسد قتل شرا
عين اللّه	قمة الرعاية	حراسة اللّه	عين + اللّه	مثير مادي	جنود بواسل
وفد اللّه	مكانة التقديس	هيبة الحجيج	وفد + اللّه	مثير مادي	الحجيج
سبيل اللّه	عمل مُقدس للّه	عظمة الجهاد	سبيل+ اللّه	مثير معنوي	الجهاد للّه
سيف اللّه	القوة الخارقة	بطل لا يهزم	سيف+ اللّه	مثير مادي	خالدبن لوليد
بيت اللّه	بيت له قداسة	كل المساجد	بيت +اللّه	مثير مادي	الكعبة
خليل اللّه	رفقة اللّه	عظمة الرفقة	خليل + اللّه	مثير معنوي	إبراهيم

(١) ثمار القلوب، ٣٥. ورد بعض هذه العبارات بنصها في القرآن الكريم، نحو: رسول الله فقد وردت في سبعة عشر موضعا بالقرآن، كتاب الله وردت في تسعة مواضع، روح الله/ يوسف ٨٧، أرض الله/ النساء ٩٧/ الأعراف٧٣/ هود٦٤، نار الله/ الهمزة ٦، (ناقة الله) الأعراف/٧٢، هود/ ٦٤...إلخ .

فيما يضاف وينسب إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

البنية التصورية:

في إطار البنية التصورية يمكننا تناول ما ذكره الثعالبي في هذا الباب من عبارات يكون المضاف إليه فيها نبياً من أنبياء الله، ويكون المضاف معجزة هذا النبي أو ما أشتُهر به من أشياء أو صفات، وهذا يجعلنا ننظر إلى العلاقة بين المتضايفين على أنها علاقة ملكية في أساسها، فكل معجزة تعد ملكاً لصاحبها وهي حقيقة فمعجزة موسى العصا ومعجزة صالح الناقة، فلو قلنا: عصا موسى وناقة صالح ما خرجنا عن الواقع في شيء، ولذا يمكن أن ندخله ضمن ما يعرف بمرحلة التكوين.

وتأتي مرحلة الإبداع أو التوليد، حيث توظف هذه العبارة في مواقف مشابهة بناء على علاقة بلاغية ألا وهي علاقة المشابهة برابط استعاري، يربط بين هذه العبارة والموقف الجديد؛ فيستخرج من العبارة الأصلية كل المعاني الكامنة فيها ويخلعها على هذا الموقف المشابه، فيصبح للعبارة معنى جديد إلى جوار معناها الأصلي، بل تتحول إلى عبارة المسكوكة تُستدعى في كل موقف مشابه ويتولد منها في كل يوم معان جديدة، نحو ما يوجد في العامية المصرية المعاصرة من عبارات تعود إلي نبي الله موسى عليه السلام وعدو الله فرعون، حيث يتصف موسى بالعدل والطيبة في مقابل فرعون الذي يتصف بالظلم والجور، فتأتي عبارات تشير إلي ذلك نحو ما ذكره أحمد تيمور باشا في كتابه الأمثال العامية قوله:

"٢٨٠. اللي تقول عليه موسى يطلع فرعون" (١)

"٣٧١. اللي ما يرضى بحكم موسي يرضي بحكم فرعون" (٢)

٣٤. يا فرعون مين فرعنك قال مالقتش حد يردني" (٣)

هذا الاستدعاء لتلك العبارات التي ترتبط بنبي من الأنبياء أو بحدث تاريخي - كما سنري - للاستشهاد بها في مواقف مشابهة يسمي {**شاهد الحال**} ، يقول عن تلك الظاهرة أد. رمضان عبد التواب" هناك مجموعة من الألفاظ والتعبيرات اللغوية في العربية، يبدو لمن لا يعرف السبب في نشئها، أو الحادثة التاريخية التي أفرزتها، أنها بمعناها الذي تستخدم فيه عادة، منقطعة الصلة بالأصل الاشتقاقي الذي أخذت منه. غير أننا إذا عرفنا الحادثة الاجتماعية أو التاريخية التي تفسرها، والحال التي قيلت فيها، اتضح مذهب اشتقاقها، وبان وجه إطلاقها علي المعني الذي تدل عليه." (٤)

لهذا يجب النظر إلى هذه العبارات من جانبين هما:

أولاً: أصل العبارة (مرحلة التكوين) ثانياً: توظيف العبارة (مرحلة الإبداع)

ثم نبحث عن الرابط الاستعاري الذي سوغ لنا إبداع هذا المعنى الجديد بناء على علاقة ما يراها المتكلم (المبدع) مما جعله ينطق بهذه العبارة القديمة للدلالة على موقف جديد؛ فأنتج لنا دلالة جديدة، ثم تتوالى المعاني الجديدة من العبارة القديمة (المسكوكة) كل يوم مع كل متكلم، ومع كل جديد يُسْتحدث في كل عصر، ويمكن التعرف على هذا الجديد من خلال تحليل السمات الانتقائية للمعنيين (نظرية التحليل التكويني) ومعرفة الرابط الاستعاري بينهما وكيف نشأ هذا المعنى الجديد؟.

---

(١) الأمثال العامية، أحمد تيمور باشا، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط٤، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، ص ٤٨.

(٢) المرجع السابق، ٦١.

(٣) الكنايات العامية، احمد تيمور باشا، مطابع الأهرام التجارية، ط٢، ١٩٧٠، ص١٠٨.

(٤) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٩٠م، ص١٥٥.

أولاً : في حقل الموجودات :

يذكر الثعالبي عبارات في هذا الباب ارتبطت بأنبياء الله منها (وصىّ آدم . شهرة آدم . سفينة نوح . غراب نوح . عمر نوح . مقام إبراهيم . نار إبراهيم . صحف إبراهيم . ضيف إبراهيم . وعد إسماعيل . ناقة صالح . ذئب يوسف . قميص يوسف . حسن يوسف . سنو يوسف . ريح يوسف . عصا موسى . نار موسى . صبر أيوب . حوت يونس . درع داود . خاتم سليمان . جن سليمان . ملك سليمان . حمار عُزيْر . طب عيسى . دم يحيي بن زكريا . بردة النبي ﷺ. داء الأنبياء . فقر الأنبياء[1].

١- مرحلة التكوين: يربط بين طرفي الإضافة في كل عبارة مما سبق علاقة الملكية على تقدير اللام، فنقول في عبارة: سفينة نوح، سفينة لنوح، وعصا موسى، عصا لموسى، هكذا سائر العبارات، فتكون كل العبارات مرتبطة بالنمط النموذجي: دراجة عمرو .

٢- مرحلة الإبداع: تأتي مرحلة الإبداع وفيها يوظف المتكلم هذه العبارة للدلالة على معان جديدة، فيستعيرها لهذا الغرض بناء على رابط استعاري يقوم على علاقة ما سمحت له بذلك، ويمكن أن نضع هذا التصور في جدول يوضح السمات الانتقائية للعبارتين ونقطة الالتقاء بينهما التي سمحت بهذه الاستعارة، يشمل الجدول علي العناصر الآتية:

١- العبارة الأصلية . ٢- العلاقة بين طرفي الإضافة في العبارة الأصلية .

٣- المعنى في العبارة الأصلية. ٤- العبارة الجديدة . ٥- المعنى الجديد .

٦- الرابط الاستعاري بين العبارتين ٧ - نوع الرابط الاستعاري (أفقي- عمودي) .

كما في هذا الجدول :

العبارة	العلاقة فيها	المعنى فيها الدلالة على	العبارة الجديدة	المعنى فيها	العلاقة بين العبارتين	الرابط أفقي- عمودي
سفينة نوح	الملكية بتقدير اللام	شيء جامع لكل الأمور	فلان سفينة نوح	فلان لديه كل شيء	سعة. جمع. شمول.	عمودي: مادي > مجرد
غراب نوح	الملكية بتقدير اللام	من يتأخر في عودته	فلان غراب نوح	أنه متأخر في عودته	التأخير في لعودة الفعل	عمودي: مادي > مجرد
ذئب يوسف	الملكية بتقدير اللام	البريء يُتهم ظلما	فلان ذئب يوسف	الاتهام ظلما	الاتهام بأي شيء ظلما	عمودي: مادي> مجرد
عصا موسى	الملكية بتقدير اللام	القوة والعدل	فلان عصا موسى	فلان له قوة مع عدل	ملكية القوة مع العدل	عمودي: مادي> مجرد
ضيف إبراهيم	الملكية بتقدير اللام	الضيف الكريم	فلان ضيف إبراهيم	أنه ضيف كريم مُكرم	أن كلاهما كريم	عمودي: مجرد> مادي
حوت يونس	الملكية بتقدير اللام	فرد نهم أكول	فلان حوت يونس	أنه نهم في كل شيء	النهم في أخذ الأشياء	عمودي: مادي>مجرد
ملك سليمان	الملكية بتقدير اللام	الاتساع والانبساط	فلان له ملك سلمان	له ملك واسع	الغنى في كل شيء	عمودي: مادي>مجرد
خاتم سليمان	الملكية تقدير اللام	الشرف. العلو. النفاذ	فلان له خاتم سلمان	له قدرات خارقة	قدرة. علو. سلطته	عمودي: مادي> مجرد ومادي
بردة النبي	الملكية بتقدير اللام	البركة والقِدم	هو كبردة النبي	قديم ومبارك	القدم والبركة	عمودي: مادي> مجرد ومادي

(١) ثمار القلوب٣٨، هذه العبارات ورد بعضها بنصه في القرآن الكريم نحو (مقام إبراهيم) البقرة ١٢٥، آل عمران ٩٧، (ضيف إبراهيم) الحجر ٥١، الذاريات٢٤، (صحف إبراهيم) الأعلي ١٩، وبعضها جاء من تلخيص القصة نتيجة استخدام العامة يوميا لها.

نظرية التحليل التكويني:

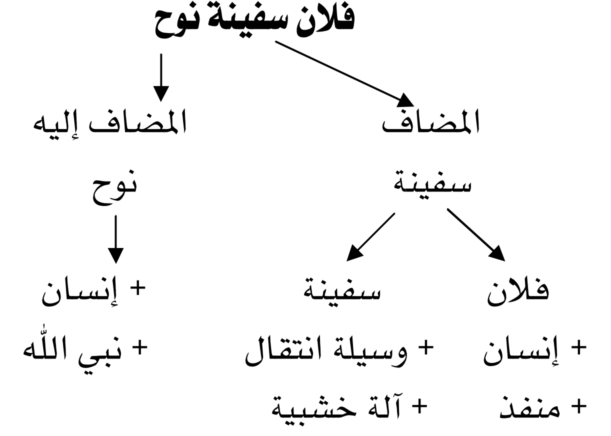
نتناول هنا عبارة من العبارات السابقة بالتحليل في ضوء نظرية التحليل التكويني هي :

(سفينة نوح):

أولاً: تحليل مكونات المعنى الأصلي للعبارة (سفينة نوح):

مكونات العبارة	إنسان	نبي الله	صانع السفينة	وسيلة ركوب	خشبية وحديدية	عصاه قومه	مركبة مائية
سفينة	- إنسان	- نبي الله	- صانع	+ وسيلة	+خشبية...	- عصاه..	+ مائية
نوح	+ إنسان	+ نبي الله	+ صانع	- وسيلة	- خشبية.	+ عصاه	- مائية

ثانياً: المعنى الجديد / المولد: العبارة الإبداعية الجديدة:



ديناميكية الإبداع:

في هذه الإضافة نرى تطوراً حدث في المتضايفين معاً، فلم يعد الأمر كما كان في المركب السابق في نحو: ناقة الله - أهل الله فقد كانت الإضافة إلى لفظ الجلالة، وكان التطور من جانب المضاف فقط، وظل المضاف إليه كما هو مالك كل هذه الأشياء على وجه الحقيقية، لكن حدث تغيير هنا في جانبين متضايفين؛ فكل منهما تغير، ونتيجة هذا التغيير إنتاج دلالات جديدة من عملية استدعاء لتركيب إضافي قديم تنتج عنه دلالة جديدة.

تحليل بعض الأمثلة: (حوت يونس)

تشير العبارة في أصلها إلى الحوت الذي بلع يونس، فكانت العلاقة بينهما علاقة ملكية كالنمط النموذجي (دراجة عمرو) بتقدير اللام أي حوت ليونس، ثم تطورت هذه العبارة لتشير إلى الرجل النهم في كل شيء: في الطعام في المال في المناصب وشرف القيادة وغيرها، فحل مكان الحوت (المضاف) كل إنسان يشبه الحوت في هذه الصفة، وحل مكان يونس كل شيء يتصارع عليه الناس من مال أو جاه أو غير ذلك، فيقولون: فلان حوت مناصب أو أموال، فاستبدلت دلالة يونس من الإشارة إلى نبي كريم إلى مطمع من مطامع الدنيا يسعى خلفه الناس. وبهذا يكون التطور في المفهوم الدلالي قد شمل كلا جانبي العبارة، فحملا معان جديدة مغايرة للمعنى الأصلي للعبارة .

ويمكن تصور ذلك التغيير بهذا الشكل:

١ - المعنى الأصلي للعبارة: حوت　　　　يونس

(الحوت الذي بلع يونس)　　　　(النبي يونس عليه السلام)

٢ - المعنى الجديد: (كل إنسان أكول نهم)　　　　(كل ما يؤكل: مال - طعام)

كيف تتم عملية إبداع في باقي العبارات ؟

هذا الأمر يشمل كل تلك العبارات، مما جعل كل عبارة تمر بمرحلتين:

مرحلة التكوين: تمثل أصل العبارة أو الموقف الذي قيلت فيه (جميع العبارات مرتبطة بأحد أنبياء اللّه، نحو: (عصا موسى، ضيف إبراهيم) لهذا ارتبطت بحدث خاص بالنبي أو بمعجزته.

مرحلة الإبداع: تأتي هذه المرحلة في ثلاث صور:

أ) الصورة الأولى: بأن يكون التطور في أحد جانبي العبارة (المضاف أو المضاف إليه) باستدعائها في موقف مشابه للموقف الأصلي، فتم استدعاء عبارة: حوت يونس، للدلالة على كل إنسان لديه نهم لكل شيء، واستدعاء عبارة: خليفة الخضر للدلالة على كثرة السفر.

ب) الصورة الثانية: بأن يكون التطور في العبارة بحذف أحد جانبيها فقد يكون:

(١) المضاف إليه (يونس): فأصبحنا نقول: فلان حوت، ونعنى به النهم في كل شيء.

(٢) المضاف: فنقول: خليفة الخضر، نشير إلى كل إنسان كثير السفر، ثم اختصرت إلى كلمة واحدة، فنقول: هذا هو الخضر، كما حدث في العبارة السابقة بأن اختصرت إلى حوت بدلاً من (حوت يونس) فحملت كلمة واحدة معنى المتضايفين معاً (سواء مادياً أو معنوياً).

فكان الأمر مختلفاً في المحذوف في العبارتين فجاء على هذا الشكل:

حوت يونس > حوت   خليفة الخضر > الخضر

السؤال الأول: لماذا حُذف المضاف إليه في العبارة الأولى يونس، ولم يحذف المضاف حوت ؟

السؤال الثاني: لماذا حذف المضاف خليفة في العبارة الثانية، ولم يُحذف المضاف إليه الخضر؟

الإجابة: هل حامل (اللكسيم) أي جرثومة المعنى بكل عبارة هو المضاف أم المضاف إليه ؟

في العبارة الأولي: (حوت يونس) نجد الحوت هو بطل الحدث، فهو الأكول والنهم، فكان اسم الحوت محتوياً على هذا المعنى، فاستُغنى به عن المأكول وهو يونس، والنهم في الأكل هي الصفة الغالبة على صفات الحوت، فاستخدم اسمه للدلالة على هذه الصفة.

وفي العبارة الثانية: (خليفة الخضر) نجد الصفة الغالبة على الخضر الترحال في البلاد لهذا استخدم اسمه للإشارة إلى تلك الصفة، فجاء الاختصار من جهة المضاف فحذف، ويبقي المضاف إليه الخضر، للدلالة على العبارة كلها.

ج) الصورة الثالثة: أن يكون التطور باستبدال المقصود بأحد اسمي الإضافة، فينتج معان:

١ـ استبدال المقصود بالمضاف إليه: نحو: يقال فلان: نار إبراهيم، أي أنه برد وسلام. أو: هو نار موسى، أي أنه شيء هين.

٢ـ استبدال المقصود بالمضاف: نحو يقال فلان ذئب يوسف، أي أنه بريء. أو: هي سنو يوسف، أي أنها قحط كسني يوسف.

ثانياً: في حقل المجردات:

في إطار نظرية الحقول الدلالية ومن خلال باب ما يضاف إلى الأنبياء نجد عبارات تشير إلى أشياء مجردة في (شهرة آدم ـ عُمر نوح ـ وصيّ آدم ـ صبر أيوب ـ فقر الأنبياء ـ داء الأنبياء)، وهي عبارات جاءت متصلة بحقول مجردة مرت بالمراحل السابقة نفسها من التطور (من مرحلة التكوين إلى مرحلة الإبداع) وارتبطت بروابط استعارية تعمل باتجاه أفقي، فتربط معنى معيناً بالنمط النموذجي أو بمعنى آخر مربوط به.

أمثلة على حقل المجردات:

١ـ شهرة آدم ـ وصيّ آدم:

مرحلة التكوين: نوع العلاقة (من الجزء المكون إلى الخاصية المميزة):

حيث كُوِّنتا من صفة في آدم وهي أنه أشهر الخلق فهو أبو البشر ومن كوْن آدم الوصيّ على أبنائه، هذا التركيب الإضافي يمثل مرحلة التكوين، فقامت العلاقة الدلالية بين الكلمتين على رابط استعاري يعمل باتجاه أفقي، وهو يربط بين صفة الشهرة والنمط النموذجي (دراجة عمرو) بالملكية بعلاقة تسمى: من الجزء المكون إلى الخاصية المميزة؛ على اعتبار وجود علاقة بين الجزء المكون نحو: حديد السيارة؛ ومعنى الخاصية المميزة نحو: قوة الشخصية بناء على استعارة تصورية مفادها أن الخصائص المميزة أجزاء مكونة[1]، لقد تكوَّن من إضافة الصفة المميزة للشخص هذا التركيب الإضافي: شهرة آدم ـ ووصيّ آدم، بناء على تلك العلاقة .

مرحلة الإبداع:

نرى استعارة جديدة هي: إطلاق هذه الإضافة على كل شخص يحمل ضمن خصائصه المميزة صفة شخصية هي (الشهرة، والوصاية)، فيأتي الإبداع في الربط بين الشخصين اجتمعت فيهما صفة (الشهرة ـ الوصاية) فيطلق الاسم القديم (آدم) فهو النموذج الأصلي على الشخص الجديد، فيقال: فلان وصيّ آدم، وأنت لك شهرة آدم، بناء على اجتماع (آدم وفلان) على صفة واحدة تعد من الصفات الشخصية المميزة لهما .

ويمكن رسم العلاقة الدلالية هنا وتطورها بالشكل الآتي:

شهرة آدم ←(علاقة من الجزء المكون إلى الخاصية المميزة) لكل إنسان مشهور.

٢ ـ (صبر أيوب ـ داء الأنبياء ـ فقر الأنبياء):

مرحلة التكوين: نوع العلاقة (من المالك إلى المُعاني):

هذه التراكيب تكونت بناء على علاقة (من المالك إلى المُعاني)، ففي استعارات مثل: لا يملك هذا الرجل شفقة ولا رحمة، فيبدو أن هناك علاقة بين المُعاني في نحو: حزن زيد، ومعنى المالك في نحو: دراجة عمرو مثلاً؛ بناء على رابط استعاري مفاده أن المُعاني هو مالك لمعاناته فالحزن ملك لزيد وكذلك الصبر ملك لأيوب وهو مالك له وهو المعاني منه، وكذلك: فقر الأنبياء و داء الأنبياء فهم يملكون الفقر والداء ويعانون منهما.

مرحلة الإبداع :

يأتي الإبداع في استعارة هذا التركيب الذي يقوم على: علاقة الملكية: من المالك >> إلى المُعاني، للدلالة على إنسان يمر المعاناة نفسها، يقال: فلان له صبر أيوب وفلان عنده داء الأنبياء وفلان لديه فقر الأنبياء، وهنا انتقال دلالي على مستوى الأشخاص ليس على مستوى الصفات (الصبر ـ الداء ـ الفقر)، أي أننا استعرنا الصفات من الأشخاص من النمط النموذجي للتعبير عن تلك الصفات لدى أشخاص آخرين مع اصطحاب أسماء الأشخاص من النمط النموذجي للتعبير عن بلوغ الغاية في الصفة الموجودة لدى هؤلاء الأشخاص في النمط النموذجي، فأصبحت لدى قوم آخرين معاصرين يعانون من الألم نفسها، فكل الناس يمكن أن يُعانوا صبر وفقر وداء كما عانى الأنبياء، ولكن عند إضافتها للأنبياء أكسبها معنى آخر؛ وهو بلوغهم الغاية في هذه الصفات.

---

(١) النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، ١٠٣.

ويمكن تصور هذه العلاقة الدلالية بهذا الشكل:

صبر + أيوب (من المالك إلى المُعاني) ←——— تقال لمن بلغ الغاية في الصبر.

داء + الأنبياء (من المالك إلى المُعاني) ←——— تقال لمن يتحمل داء شديدا كالأنبياء.

٣. (دم يحيي بن زكريّا):

مرحلة التكوين: نوع العلاقة (من المالك إلى الضحية):

إن جملاً مثل: نال زيد عقاباً شديداً، تشير إلى وجود علاقة بين معنى الضحية في نحو: حادثة زيد، ومعنى الملكية على أساس رابط استعاري مفاده أن ما يقع لنا يعتبر ملكاً لنا، كذلك ما وقع ليحيي من قتل حَوَّله إلى ضحية عبر عنها بكلمة دم مع إضافتها إليه فقلنا: دم يحيي، فارتبط كل منهما (الدم ويحيي) برابط استعاري مفاده أن ما يقع لنا هو ملك لنا، فالدم الذي سال ظلما من يحيي هو ملك له، وأن يحيي بين والدم علاقة أن يحيي هو الضحية.

مرحلة الإبداع :

يأتي الإبداع من خلق معان جديدة من هذا التركيب، فيستعار للتعبير عن من قتل ظلماً فيقال: هذا دم يحيي لرجل ظلم في عمله أو مسكنه أو أي شيء - القتل أو غير قتل - فتتحول العبارة إلى رمز للظلم، نستحضر في مواقف مشابهة، فنقولها اختصاراً (كعبارة مسكوكة).

علاقات جديدة بين المتضايفين:

هناك علاقات كثير تقوم بين المتضايفين من تحت عباءة علاقة الملكية بسبب الروابط الاستعارية المختلفة التي تنشأ بينهما، نضيفها للعلاقات التي ذكرها د. غاليم (فهي إضافة جديدة لما ذكره من علاقات) تدخل تحت ما يسمى بالروابط الاستعارية الأفقية، نفسر بها بعض العلاقات التي بين المركبات الإضافية ضمن ما ذكرها الثعالبي في هذا الباب، منها:

١ - علاقة معرفية:

إن ما نملكه من معرفة يعتبر ملكاً لنا، ولهذا تعتبر عبارة مثل (طب عيسى) تقوم على علاقة الملكية (طب لعيسى)، وهي بذلك ترتبط بالنمط النموذجي (دراجة عمرو) بناء على رابط استعاري مفاده أن ما نعرفه من علوم هي ملك لنا، فهذا الطب ملك لعيسى وقد وهبه الله القدرة على شفاء المرضى، لهذا تحول عيسى بعلمه في الطب إلى مكانة القمة في مجال الطب بل هو مضرب المثل في هذا الباب، فاستخدمنا هذه الإضافة (طب عيسى) كإشارة لمن برع في هذا الباب، وهنا تأتي مرحلة الإبداع في توظيف هذه العبارة في موقف جديد مشابه للموقف الأصلي للعبارة، فتحولت إلى عبارة مسكوكة ترمز لمن له علم في الطب.

٢. علاقة تاريخية:

مرحلة التكوين: إن ما يمر بالإنسان من أحداث تعد تاريخاً له وملكاً له، لهذا قامت بين الحدث وصاحبه علاقة أساسها الملكية فهي ملك له وضمن تاريخه الشخصي، بل يمكن أن نؤرخ له بناء على هذا الحدث، ففي عبارة مثل (سنو يوسف) وهي السنوات التي عاشها المصريون في شدة وقحط، وكانت سبعاً متواترة، وهنا رابط استعاري سمح لنا أن نقيم علاقة دلالية بين المتضايفين في ما سميناه بمرحلة التكوين هي العلاقة التاريخية بين تلك السنين والقائم على خزائن المال فيها وهو يوسف عليه السلام، فأصبحت ملكا له، أي سنوات ليوسف .

مرحلة الإبداع: توظيف هذه العبارة للدلالة على المعنى نفسه (الشدة والقحط) فنقول لقوم في شدة: هم يعيشون في سني يوسف، وفي دعاء مأثور: اللهم اجعلها عليهم كسني يوسف. مثلها عبارة: عمر نوح وهو يعد تاريخاً لارتباطه بزمن هو عمر نوح؛ ليعبر بها بعد ذلك عن طول العمر فيقال: فلان له عمر نوح.

٣ ـ علاقة آلية:

يرتبط الإنسان بالآلة التي يعمل بها بناء على رابط استعاري مفاده أن ما لدينا من آلة ملك لنا، أي على أساس علاقة ملكية، وهي علاقة الملكية نفسها الموجودة في النمط النموذجي (دراجة عمرو) ويدخل من هذا الباب كثير من العبارات التي ذكرها الثعالبي منها ما كان جماداً أو حيواناً، وتشير هنا إلى معجزات الأنبياء وكتبهم نحو: درع داود ـ مزامير داود ـ خاتم سليمان ـ عصا موسى ـ قميص يوسف ـ سفينة نوح ـ غراب نوح ـ صحف إبراهيم ـ ناقة صالح ـ نار موسى ـ نار إبراهيم ـ يد موسى ـ حوت يونس ـ جن سليمان ـ حمار عُزير .

يقوم المتكلم باستعارة هذه العبارات لمواقف مشابهة لوجود رابط استعاري ما يسمح له باستعارتها؛ كل عبارة تستخدم في الموقف الذي يناسبها.

البنية العصبية:

في هذا الجانب نرى تعاون كل من كلمتي الإضافة في بناء صورة دلالية جديدة لهذا المركب، تقوم على ما يأتي إلى الذهن من خلال عملية الإدراك في كلمتي الإضافة حيث يتم المزج بين التصورين لبناء تصور جديد، ثم تطور ذلك لبناء؛ فنجد في المركب الاسمي المرتبط بأنبياء اللّه مفاهيم عقلية عامة تسود في تلك العبارات، نستنتج منها ما يأتي:

١ـ تقديس القوم لأنبياء اللّه.

٢ـ تاريخ الأنبياء ومعجزاتهم وكل ما يتصل بسيرتهم أمر معروف محفوظ في أذهانهم.

٣ـ تحولت العبارات نتيجة لتقديسهم إلى مثل يضرب عبر تاريخ نستدعيه بمواقف مشابه.

٤ـ حملت العبارات التأثير النفسي الماضي ذاته في النفوس المعاصرة في الموقف المماثل.

٥ـ قدرة العقل البشري على الجمع بين الماضي والحاضر باستحضار الحدث الماضي بكل ملابساته من الذهن وربطه بحدث مماثل ومعاصر؛ وذلك من خلال العبارة الماضية نفسها مما يدل على حجم العمليات العقلية التي تتم في ذهن المتكلم أثناء الحدث الكلامي وتفكيره في الرد.

كيف تتم عملية المزج الذهني بين المتنافرين ؟ وما دور العقل في تنظيم عملية التفكير ؟

لو تناولنا بعض العبارات بالتحليل كمثال على ما يحدث من عمليات عقلية لخلق هذه العبارة أو تلك؛ فسنجد أن بناء العبارة يبدأ من الكلمة الأولى التي تشير إلى صفة ما، فهي نتيجة لعملية إدراك لمثير ما أو منبه حدث داخل المتكلم، أثاره فانطلق إلى ذكرته فاختار لها هذه الكلمة، ثم بحث بعد ذلك ـ مع نمو انفعاله بهذا الشيء ـ عن كلمة أخرى لتصور هذا الانفعال بصورة أكبر؛ فاختار نبياً من أنبياء اللّه ليضيف إليه هذه الصفة قد عرف بها، لهذا يأتي بناء العبارة تحت تأثير المثير العصبي في إطار عملية عصبية إدراكية كالآتي:

١ـ مرحلة إدراك حدث ما: مرض/ فقر/صبر.

٢ـ اختيار كلمة تعبر عنه: مرض/ فقر/صبر.

٣ـ البحث في الذاكرة عن اسم يعطي الحدث تقديساً وتعظيماً فلا يجد أفضل من أنبياء اللّه.

٤ـ يختار من أنبياء اللّه من كابد معانة مماثلة لما يعيشها الآن فيختاره ممثلاً لشدة معاناته.

٥. تخرج العبارة القديمة الآن مطابقة للحدث الحاضر بشكل جديد كأننا لم نسمعها من قبل.

كما في هذه العبارات : صبر أيوب ـ داء الأنبياء ـ فقر الأنبياء.

صبر أيوب: قد يكون المتكلم مرَّ بضغوط معينة وظل يصبر عليها ، ثم انطلق يصرخ طالباً ما يعينه عليها تحت تأثير إفراز الغدة الإدرينالية مادة الادرينالين بين الخلايا العصبية التي تنقل هذا التأثير إلى العقل الذي يفك شفرة هذه الإشارة ويكوِّن أساس دلالي لها ، ثم يختار لفظة مناسبة هي (صبر) فيقول: يا صبر، ويبحث في ذهنه تحت تأثير زيادة الانفعال عن مثال للصبر بين البشر؛ ليطلب صبراً يساوي صبر هذا الرجل، فلا يجد أفضل من نبي الله أيوب؛ فهو مضرب المثل في الصبر، فيختاره ليسند إليه صفة الصبر الذي يطلبه؛ فتخرج عبارته (يا صبر أيوب) بعد أن تمر بمرحلة الأساس القضوي التصوري، والأساس الدلالي والبناء المعجمي والتركيب النحوي في شكل مركب اسمي هو المركب إضافي، ثم يعطي العقل الأمر الأعضاء النطق للنطق بأصوات هذا المركب، فنسمع منه عبارة: **صبر أيوب**. وكذلك العبارات الأخرى نحو: داء الأنبياء ـ فقر الأنبياء...

فيما يضاف وينسب إلى الملائكة والجن والشياطين :

البنية التصورية :

جمع الثعالبي في هذا الباب كل الأشياء الغيبية التي لا تُرى بالعين مثل الملائكة والجن والشياطين وهذه المخلوقات قد وضعتها نظرية الحقول الدلالية تحت مسمى الكائنات الخفية متفرعة من مستوى أعلى هو حقل الموجودات، كما في هذا الشكل:

حقل الموجودات >> الموجودات الحية >> قوى وكائنات فوق الطبيعة >> كائنات خفية

ارتبطت هذه المخلوقات بحياة البشر بشكل كبير لأسباب كثيرة منها :

١ـ أنها شرط من شروط الإيمان بالله أن تؤمن بالـ (ملائكة وكتب ورسل وجن وشياطين).

٢ـ حاجة الإنسان لقوى أكبر منه تحميه، لذا بحث عنها في الغيب: (ملاك أو شيطان).

٣ ـ الملائكة والجن نمط نموذجي عند البشر يمثل الخير (الملائكة) ويمثل الشر(الشيطان).

في ضوء هذه الأسباب يمكن أن نفهم طبيعة العلاقة الدلالية في الإضافة في كل عبارة في هذا الباب خصوصاً السبب الثالث، حيث يشير إلى أن أبطال هذه العبارات هي صور تحتذي بها في الخير والشر، على هذا الأساس يمكن أن نفسر العبارات الإضافية المختلفة، بل يمكن أن نقسم العلاقات الدلالية التي تربط المتضايفين على قسمين :

الأول: فيما يختص بالملائكة.

الثاني: فيما يختص بالشياطين والجن.

أولاً : ما أُضيف إلى الملائكة :

ذكر الثعالبي تحت هذا الاسم عبارات منها: خط الملائكة، طاوس الملائكة، غسيل الملائكة، قوط الملائكة، سيرة الملائكة، جناح الملائكة، جناح جبريل[1]، نحللها هنا:

١ـ خط الملائكة :

مرحلة التكوين: تكونت العبارة بناء على علاقة بين كلمتي الإضافة هي علاقة الملكية، هذا الخط ملك للملائكة وعلى رابط استعاري أفقي هو العلاقة بين الآلة ومالكها، وهي العلاقة التي تربط بين الخط كآلة للكتبة وهو غير واضح أو معروف، رغم أن الحق قال عنهم (كراما كاتبين) [الإنفطار: ٨٢]، ونظراً إلى أن الناس لم يشاهدوا هذا الخط وأن أحسن الخط أبينه فأعتبر الناسُ خط الملائكة نموذجاً للخط الرديء.

مرحلة الإبداع: قام الناس بتوظيف العبارة للدلالة على الخط الرديء، لعلاقة استعارية هي المشابهة التي تربط بين الخط الرديء وخط الملائكة وهو عدم الوضوح، فاستعيرت هذه العبارة للدلالة على هذا المعنى في كل خط رديء للإنسان بأنه كخط ملائكة .

٢ـ طاوس[2] الملائكة :

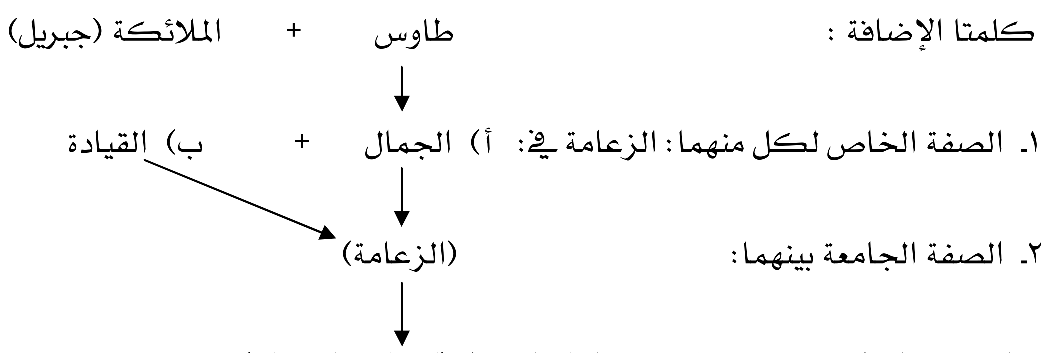
مرحلة التكوين: يقصد به جبريل عليه السلام، لقد ارتبطت كلمتي الإضافة في العبارة بشيئين مختلفين وبعالمين متباينين هما عالم الطيور وعالم الملائكة، عالم ظاهر وعالم خفي، ولا توجد علاقة بينهما، إذن ما الرابط بينهما ؟ لننظر إلى مكانة كل من المتضايفين في عالمهما، فنجد الطاوس زعيم

---

(١) ثمار القلوب، ٦٣.

(٢) هكذا كتبت في كتاب ثمار القلوب (طاوس) فكتبتها بهذا الرسم في كل النص في هذا الكتاب.

الطيور وملكهم نظراً لشدة جماله، وكذلك جبريل زعيم الملائكة، ولذا جاز هذا التركيب (طاوس الملائكة) لما اجتمع في الشخصين من علو المكانة والزعامة في عالمهما، فالرابط في هذا التركيب هو علاقة المشابهة في العلو والزعامة، هي التي أجازت استعارة صفة الزعامة في الجمال من الطاوس، لتضيف لجبريل إلى جانب صفة الزعامة في القيادة صفة الزعامة في الجمال ويمكن تصور ذلك من خلال هذا الشكل:



٣- المحصلة الدلالية للعبارة: بلوغ جبريل الغاية في: (القيادة والجمال)

إن العلاقة التي تربط بين الكلمتين علاقة ملكية لكن بتقدير (من) للدلالة علي التبعيض، أي أن جبريل بعض من الملائكة أفراد منهم، والطاوس فرد من جماعة الطيور فهو واحد منهم، لكن المقصود بالطاوس هنا استعارة صفة الجمال من الطاوس لخلعها على جبريل، فهو رابط استعاري يقوم على علاقة المشابهة التي بينهما، وهي بلوغ الغاية في صفتهما .

مرحلة الإبداع: يأتي الإبداع في توظيف العبارة للدلالة على معان جديدة فنقول: فلان طاوس الملائكة لنخلع عليه صفة الجمال والقيادة، بل من الممكن أن نأتي منها بمعان متباينة حسبما يرى المبدع وحسبما يبتكر عقله وخياله، مثل معنى: التكبر والعظمة والتعالي كظلال للمعنى الأصلي، فاستدعاء صورة الطاوس من الذاكرة في (البنية التصورية) ليستدعي حركته ومشيته التي توحي بالخيلاء والتكبر إلى جانب شكل ريشه الجميل، ويمكن أن نطور في العبارة بالحذف فنقول: فلان طاوس، وبهذه الصورة تعطي العبارة معان جديدة مختلفة منها: فلان متكبر - فلان أو فلانة بلغ القمة في الجمال فعلاً، ويمكن أن يكون ذلك سخرية.

ويمكن أن نتصور النمو الدلالي الذي حدث لهذه العبارة من خلال هذا الشكل:

مرحلة التكوين:

أ) مفردات العبارة والمقصود بها : طاوس + الملائكة = جبريل.

ب) تكوين المعنى (بلوغ جبريل الغاية في): الجمال + القيادة = الزعامة فيهما.

مراحل الإبداع [إنشاء الصور الجديدة]:

١)التطور الأول: عندما نقول: (فلان طاوس الملائكة).

المحتوي الدلالي للكلمتين: طاوس (جمال. كبرياء. عظمة) + ملائكة (قيادة. قوة. بركة).

المعنى الناتج عن اجتماع كلمتي العبارة: فلان بلغ الغاية في الجمال والقيادة والبركة.

٢)التطور الثاني: (بالحذف) عندما نقول: (فلان طاوس).

المعاني الناتجة عنها: ١- شديد الجمال. ٢- متكبر. ٣- متفاخر بنفسه. ٤- بارع في عمله.

٣)التطور الثالث: (بالقصر) عندما نقول: (فلان عامل فيها طاوس).

نتيجة للتطور الذي يحدث للغة بتطور مفاهيم المجتمع الذي تعيش فيه والتطور الفكري والحضاري تصبح العبارة قاصرة على معنى واحد، هو وصف هذا الرجل بالتكبر والخُيلاء والإعجاب بنفسه، في هذه الحالة يتناسى الناس المعنى الأصلي للعبارة نتيجة لحذف المضاف إليه (أحد أركان المعنى السابق) فيُحذف نتيجة لذلك معنى البركة والقوة والقيادة التي أتت من كلمة جبريل وكانت ضمن معاني العبارة، وتبقى المعاني المضاف.

٤) التطور الرابع: المعاني المتوقعة من هذه العبارة المبتورة (فلان طاوس):

نستطيع أن نقول: إن المعاني الجديدة المتوقعة منها أي التي سيبدعها المتكلم من العبارة لا يعلمها أحد ولا عباقرة اللغة، وذلك لأن هذا الأمر مرتبط بقضايا كثيرة تتحكم فيه منها: نوع التطور الذي سيحدث في المجتمع، ما سيحتاجه المجتمع والفرد (كأحد لبنات المجتمع) من متطلبات ستفرض عليه توظيف هذه العبارة؛ فتحمل بدلالات جديدة، فمنذ عشرين عاماً فقط نسأل: من مِنّا كان يعرف أن كلمة (محمول ـ جوال ـ خلوي) سوف تحمل في يوم ما دلالتها الحالية (أي الدلالة على جهاز الهاتف المتنقل)؟

هذه هي اللغة وهذا هو دأبها وسر الإبداع فيها، وهو التجديد والابتكار والتطور الذي ينم عن الطاقة الكامنة والمتجددة في العقل البشري غير المتوقعة، كصفة أصيلة في الإبداع.

٣. غسيل الملائكة:

مرحلة التكوين: يطلق هذا الاسم على حنظلة بن أبي عامر الأنصاري؛ غسلته الملائكة، وذلك أنه خرج يوم أحد فأصيب فقال الرسول ﷺ: هذا صاحبكم غسلته الملائكة، فسئلت عن ذلك امرأته، فقالت: إنه كان معي على ما يكون عليه الرجل مع امرأته، فأعجلته حطمة بالمسلمين منعته عن الاغتسال، فخرج فأصيب[١].

أضيفت كلمة غسيل وهي مصدر من الفعل غسل إلى الملائكة، والملائكة فاعل هذا الحدث (أي غسل الملائكةُ حنظلةَ) فتحول التعبير من الجملة الفعلية إلى مركب إضافي ليصبح اسماً يطلق علي حنظلة (غسيل الملائكة) فيعطى = معنى الحدث + اسم شخص، ويتحول الفعل (غسل) إلى اسم: صفة مشبهة (غسيل)، لهذا لا يمكن أن تكون العلاقة بين الكلمتين علاقة ملكية مباشرة، ولكن من خلال علاقة تسمي (من أصل الحدث إلى سببه) حيث تبيّن من هذا الرابط الاستعاري في هذه الجملة أنه يعاني من الوحدة، وأن أسباب الأحداث تتصور باعتبارها أصولا أو مصادر مجردة، فيكون معنى السبب في نحو: (ألم الوحدة) توسعاً في معنى الأصل أو المصدر في نحو: ماء العين، بناء على رابط استعاري مفاده أن: الأسباب أصول أو مصادر، فالوحدة مصدر الألم[٢] والملائكة مصدر الغسيل.

إن الإبداع في مرحلة التكوين هنا جاء من التعبير عن الجملة الفعلية بمركب اسمي ليعطى المعنى نفسه، إن عبارة د غاليم: (إن أسباب الأحداث تتصور باعتبارها أصولاً أو مصادر) إذا أعدنا صياغتها بطريقة نحوية لقلنا: إن فاعل [سبب الحدث] الفعل [الحدث] يعتبر هو مصدر الفعل وأصله، فإننا بناء على هذا الرابط الاستعاري يجوز لنا أن حول الاسم ليعطي معنى الحدث من خلال مركب اسمي هو التركيب الإضافي علي نحو:

(١) ثمار القلوب، ٦٤.

(٢) النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، ١٠١.

الجملة (غسل الملائكة حنظلة) > المركب الإضافي (غسيل الملائكة) > يقصد (حنظلة).

مرحلة الإبداع: نقوم في هذه المرحلة بتوظيف العبارة في تراكيب جديدة، كي نستخرج مكنون معناها، هذا الأمر يأتي من الاستخدام الفعلي للعبارة أو القياس عليها، فننسب كل عمل نريد أن نمجده إلى الملائكة فنقول: غسيل الملائكة، ونقصد أنه ثياب نقي طاهر، وقياساً على ذلك نقول على عمل ما: صنع الملائكة، وقياساً على ذلك أيضاً تأتي هذه العبارة: (قوط الملائكة) تبركاً بالملائكة لتطلق على مكان مبارك يُدِرُّ الماء العذب على الناس والأنعام ولا يُعرف من حفره ولهذا نسب إلى الملائكة، فهم مصدر كل خير في تصور كل الناس.

ومثلها هذه العبارة: (سيرة الملائكة) فتطلق على كل شخص محمود السيرة فهو كالملائكة لحسن سيرته، وعبارة: (جناح الملائكة) يقول الثعالبي: وقد يضرب المثل بجناح جبريل في البركة والشفاء)[1] لقد أصبح كل شيء يقترن بهم به الخير والبركة.

٤. حربة أبي يحيي:

مرحلة التكوين: قال الثعالبي: أبو يحيي هو ملك الموت وإنما كنى بهذه الكنية عن الموت كما كنى عن اللديغ بالسليم وعن المهلكة بالمفازة، حربة أبي يحيي يراد بها مقدمة من مقدمات الموت على جهة التمثيل والاستعارة[٢].

لقد فعلت الاستعارة فعلها في تكوين هذه العبارة، حيث كونت من أشياء متنافرة صوراً جديدة، فالعنصر الأساسي لتكوين هذا البناء - كما قال الثعالبي - التمثيل والاستعارة، أي أن هناك رابط استعاري سوغ لنا هذا البناء، ومن خلال الاستعارة يمكن لهذا المعنى أن يتسع ويستوعب كل جديد.

يقول بول ريكور معرفاً الاستعارة: الاستعارة تهتم بعلم دلالة الجملة قبل أن تهتم بعلم دلالة الكلمة المفردة، وما دامت الاستعارة لا تحظى بالمغزى إلا في قول فهي إذاً ظاهرة إسناد لا تسمية. حين يتحدث الشاعر عن (صلاة زرقاء أو غطاء الأحزان) فإنه يضع كلمتين في علاقة تنافر، وليس إلا الجمع بينهما ما يشكل الاستعارة، وهكذا لا يجب أن نتحدث عن استعمال استعاري لكلمة معينة، بل عن قول استعاري كامل. فالاستعارة هي حاصل التوتر بين مفردتين في قول استعاري[٣].

قال: الاستعارة تنطوي على اختزال للصدمة المتولدة عن فكرتين متناقضتين، إذاً ففي ذلك اختزال هذه الفجوة أو المسافة تلعب المشابهة الدور المنوط بها... وهو إظهار قرابة ما، حيث لا ترى النظرة الاعتيادية أية علاقة، يجمع بين أشياء متفرقة لا تجتمع، وبواسطة سوء الفهم الواضح هذا تقيم الاستعارة علاقة معنوية جديدة لم تلحظ حتى الآن تنبجس من بين المفردات التي تجاهلتها أنظمة التصنيف السابقة[٤].

وقال عن عملية الإبداع بخلق المعنى: لا تنتبه البلاغة التقليدية للخلق الجديد للمعنى بل إلى آثاره ونتائجه، فهي لا تستطيع أن تفسر خلق المعنى، ولكن في النظرية التي تذهب إلى وجود توتر في الاستعارة كالتي نقابل بها هنا نظرية الاستبدال، تنبثق دلالة جديدة تضم في داخلها الجملة كلها، بهذا المعنى تكون الاستعارة خلقاً تلقائياً وابتكاراً دلالياً لا مكان له في اللغة السائدة، ولذلك تشبه الاستعارة حل لغز، أكثر مما تشبه اقتراناً قائماً على المشابهة، لأنها تتكون أصلاً من حل لغز التنافر

---

(١) ثمار القلوب، كل هذه العبارات موجودة في ثمار القلوب، ٦٦.

(٢) المرجع السابق، ٦٦.

(٣) نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٩٠.

(٤) المرجع السابق، ٩٠ ــ٩٣.

الدلالي[1]، ويقول في النهاية عن الاستعارة الحية: هي استعارات الابتكار التي تكون فيها الاستجابة للتنافر في الجملة توسيعاً جديداً للمعنى.

في إطار ما سبق يمكن أن نفهم هذه العبارة (حربة أبي يحيي) على أنها:

١) جمعت بين متنافرين هما: الموت والحياة في اسم واحد هو أبو يحيي، ويقصد به ملك الموت.

٢) جمعت العبارة بين الحربة التي يستخدمها المحارب وهي شيء مادي ثم إضافتها إلى ملك الموت، وهو شيء لا يُرى بالعين، أي معنوي.

هذه التوليفة غير المتجانسة التي جمعت المتنافرين، هي التي أوجدت هذا الخلق الجديد للمعنى، بناء على ذلك الرابط الاستعاري الذي أوجد علاقة بين الموت والحياة؛ هي علاقة التنافر بينهما، استعيرت كلمة أبي يحيي للدلالة على ملك الموت، كما في "البصير" للدلالة على الأعمى، و"السليم" للدلالة على اللديغ، والمفازة للدلالة على المهلكة. وبذلك تكون علاقة التنافر هذه وسيلة لابتكار دلالات جديدة (كما قال ريكور) وأيضاً نشأت من مركب اسمي هو تركيب إضافي، وليس من كلمة.

وهو أيضاً يقوم على علاقة الملكية أي أب يملك يحيي، وترتبط الكلمتان (أب + يحيي) برابط استعاري يقوم على علاقة القرابة بين أب ويحيي، وهذا الرابط مفاده أن الأقارب ملك لنا. والعلاقة التي تربط بين (حربة) و (مقدمات الموت) جاءت على وجهة الاستعارة والتمثيل (كما يقول الثعالبي) وعلاقة التمثيل هنا (إذا جاز لنا استعارة كلمة الثعالبي) تطابق الواقع الفعلي للفكرة فهي تجسيد وتمثيل للمعنوي وهو الموت في صورة حربة المقاتل والحربة شيء مادي، وهي تمثيل آخر للحركة في مقدمات الموت وهي تهجم لتقتل الناس، وحركة الحربة تهجم على الناس أيضاً كنوع من التمثيل وتجسيد للمعنوي.

ومن خلال هذه العبارة (حربة أبي يحيي) خرجنا بعلاقتين جديدتين هما:

١ـ إضافة الحربة إلى أبي يحيي، وهي: علاقة تمثيل بشيء مادي (الحربة) لحدث ما، وهو مقدمات الموت، وهو حدث معنوي (**علاقة تمثيلية**)، وهي رابط استعاري يعمل في اتجاه عمودي، حيث ربط بين أمثلة ملموسة، وأمثلة مجردة للمعنى نفسه.

الموت: هو ربط بين شيء يتبع حقل الموجودات وبين شيء يتبع حقل الأحداث، هو حدث مجيء الموت في شكل مقدمات له (في ضوء نظرية الحقول الدلالية).

٢ـ العلاقة بين الموت والحياة في "أبي يحيي" هي (**علاقة تنافر**) فالمقصود به ملك الموت.

الحياة في (أبي يحيي) >> << الموت في (ملك الموت) = علاقة تنافر.

مرحلة الإبداع: تأتي مرحلة الإبداع بتوظيف تلك العبارة القديمة للدلالة على معان جديدة، فنطلقها على مواقف جديدة مختلفة عندما نقول:

١ ـ لحادثة ما من الممكن أن يموت فيها أشخاص: "هي حربة أبي يحيي" .

٢ ـ على شخص لا يأتي منه إلا الشر: "هو حربة أبي يحيي".

٣ـ على وسيلة مواصلات مات بسببها الناس: "هي حربة أبي يحيي" نحو: "النعش الطائر".

---

(١) المرجع السابق، ٩٤.

ثانياً: ما أُضيف إلى الشياطين والجن:

يذكر تحت هذا الاسم عبارات منها: سحر هاروت ورماح الجن وديك الجن وكلاب الجن وذبائح الجن وجند إبليس وإبليس الأباليس وصديق إبليس وقبح الشيطان وخطوات الشيطان وأصابع الشيطان ورقى الشيطان ومكيال الشيطان وظل الشيطان ولطيم الشيطان ومخاط الشيطان وبريد الشيطان ووكر الشيطان وحبائل الشيطان وخمر الشيطان ورءوس الشيطان[1].

هناك عبارات ارتبط بنوع آخر من المخلوقات غير المرئية، هم: الجن والشياطين والأباليس، وهي تصور رأى المجتمع حولهم نحو:

أ) الجن:

١. رماح الجن:

مرحلة التكوين: ربطت هذه العبارة بين شيئين هما: الرماح + الجن؛ الأول مادي فيزيائي والثاني غيبي غير مرئي، وتقوم العلاقة الدلالية هنا على عملية تمثيل وتجسيد، وهذا دور الاستعارة في الجمع بين المتناقضين والتمثيل لغير المرئي بالمرئي (كما ذكر ريكور) فالرابط هنا استعاري عمودي، حيث ربط بين المادي الملموس وغير الملموس، وجاء من علاقة أكبر هي علاقة الملكية فالرماح ملك للجن.

مرحلة الإبداع: قال الثعالبي: العرب تسمى الطاعون: رماح الجن، وجاء في الحديث: إنه وخز أعدائكم من الجن[2]، وهذا القول يوضح أن العرب أول من وظّف هذا التركيب، فولد منه معان جديدة وهو أن نعنى به الطاعون، كل ما له قدرة خارقة على الإبادة الجماعية لبلاد والعباد فكأنه رماح الجن.

من الممكن أن نبدع من هذه العبارة في كل يوم جديداً، فتتحول الكلمة إلى شيء خارق لارتباطها بشيء أسطوري هو الجن، بل من الغريب ذلك التحول الذي نراه في العبارة نفسها، عندما نطلقها على جنودنا البواسل فنقول: هم رماح الجن إذا هاجموا الأعداء، على أنهم أشد عليهم من وخز المرض، لذا نستدعى في هذا الموقف الجانب الأسطوري من العبارة، فالأصل أننا نريد أن نصفهم بالقوة الخارقة وليس بالمرض.

٢. كلاب الجن:

مرت العبارة بالمراحل السابقة نفسها ثم أطلقت على الشعراء لتربط بين أسوء شيئين الكلاب + الجن = لتكون النتيجة جماعة من البشر أشر من الكلاب ومن الجن "الشعراء".

مرحلة التكوين: كلاب + جن (بعلاقة الملكية >> علاقة التمثيل) ⟵ كلاب الجن.

التطور الأول: كلاب الجن >> الشعراء.

التطور الثاني: كلاب الجن >> قوم شديد الإضرار بالناس.

٣. ذبائح الجن:

أتت العبارة: أنه نهى عن ذبائح الجن، وهي أن يشترى الرجل الدار... فيذبح لها ذبيحة الطيرة، ويضيف جماعة[3] قرنت هذه الذبائح بالجن لفسادها ومن هذا الباب الأسطوري دخلت باقي المعاني التي يمكن أن نولدها منها نحو: ذبائح الجن >> نقصد بها كل ما ذُبح لغير الله أو فيه شبهة شرك بالله.

---

(١) ثمار القلوب، ٦٣.

(٢) ثمار القلوب، ٦٩.

(٣) المرجع السابق، ٧٠.

ب) إبليس :

١. جند إبليس :

ذكر الثعالبي أن هذه العبارة تطلق علي المُجّان والخلعاء، ومرت المراحل نفسها وهي :

مرحلة التكوين: جند (شخص في الميدان) + إبليس (زعيم الجان) >> جند إبليس

مرحلة الإبداع: ١. جند إبليس >> المُجَّان والخلعاء .

مرحلة إبداع: ٢. جند إبليس >> أ) كل قوم شر.

ب) كل قوم بواسل لهم مكر ودهاء علي الأعداء.

٢. إبليس الأباليس :

مرحلة التكوين: قال الثعالبي: كانت الشعراء تزعم أن الشياطين تلقى على أفواهها الشعر وتلقنها إياه تعينها عليه، وتدعى أن لكل فحل منهم شيطاناً يقول الشعر على لسانه، فمن كان شيطانه أمرد كان شعره أجود[١]؛ إن هذا القول يصور تطوراً جديداً في الدخول على عالم الأشياء الغيبية، فيربط بين عالم الشعر وعالم السحر بشياطينه وجنوده، فيجعلهم مراتب ودرجات وقادة، ولكي تتم المقابلة يقول الشاعر جرير:

إنِّي ليُلْقِى عليَّ الشعرَ مكتهلٌ من الشياطينِ إبليسُ الأباليسِ[٢]

جاءت عبارة "إبليس الأباليس" لتصور القمة في بلوغ درجة الاحتراف في قول الشعر، بأن وظَّف الشاعر عنده قائداً عاماً، هو إبليس الأباليس ليلقى عليه الشعر.

توظيف الأبنية الصرفية لإبداع دلالة جديدة:

نجد في هذه الإضافة شكلاً جديداً للوصف، حيث أضيف المفرد إلى جمعه مبالغة في الوصف، فلو أضفنا إلى كلمة إبليس إلى أي شيء لبلغ هذا الشيء القمة في الشر نحو: هذا إبليس المدينة؛ أي هذا الفرد أشر مخلوق في المدينة كلها، ولكن إذا سميناه بإبليس وأضفناه لجمعه (أباليس) فتكون تلك الغاية في الوصف بالشر، وبذلك يكون قد بلغ الغاية في الصفة.

لهذا نرى أن العلاقة التي تربط بين المتضايفين علاقة صرفية فقد أُضيف الاسم إلى جمعه، فإلى جانب علاقة الملكية التي بينهما؛ إلا إننا نراها أيضاً إضافة فرد إلى الجماعة بل إضافة الشيء إلى نفسه أو جماعته، لهذا تعد هذه علاقة جديدة "علاقة صرفية".

مرحلة الإبداع: تطورت هذه العبارة لتطلق على كل إنسان سيئ، بعد أن كانت تعنى من يلقى الشعر على الشعراء من الشياطين، فيقولون: فلان ابن أبالسة مبالغة في وصفه بالشر، وهذه الحالة يحول نوع العلاقة التي تربط بين المتضايفين؛ بعد أن كانت علاقة صرفية بإضافة الاسم إلى جمعه، أصبحت علاقة ملكية فقط، كما في النمط النموذجي (دراجة عمرو) تقوم على علاقة القرابة، كما في (ابن هند) على أساس رابط استعاري مفاده أن الأقارب ملكيات، سماها د. غاليم من المملوك إلى القرية[٣]، فابن هند ملك لهند، وابن الأبالسة ملك لهم.

٣. صديق إبليس :

مرحلة التكوين: قال الثعالبي: هو عبد الله بن هلال الذي يقال له الساحر وكان في زمن الحجاج، وكان صاحب شعبذة ونيرنجات يدعي أن إبليس يتراءى له ويصادقه ويكاتبه ويطلعه على أسراره[٤]،

---

(١) ثمار القلوب، ٧٢.

(٢) ديوان جرير، الصاوي، ١٣٦٣هـ، ص٣٢٣.

(٣) النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، ١٠٣.

(٤) ثمار القلوب، ٧٣.

العلاقة التي تربط بين اللفظين علاقة ملكية، على أساس أن الأقارب وكذلك المعارف ملكيات، فكأن الأقارب والأصدقاء ملك لنا، فنقول فلان صديقي: أي هو ملك لي، ولكن الجديد في هذه العلاقة هنا قيامها بين مادي ملموس هو ابن هلال ومعنوي مفهوم هو إبليس، وذلك بناء على إدعاء ابن هلال بوجود تلك العلاقة بينه وبين الشياطين علاقة صداقة.

مرحلة الإبداع: توظيف هذه العبارة للدلالة على أشخاص عرفوا بالشر في وقتنا الحالي، نحو "ابن أبالسة".

ج) الشيطان:

١. قُبْح الشيطان:

مرحلة التكوين: ذكر الثعالبي حديثاً للجاحظ يدخل ضمن ما نحن فيه، قال الجاحظ: إنا وإن كنّا لم نر شيطاناً وصوره لنا صادق ففي إجماع العرب والمسلمين وكل من لقيناه على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح، والكتاب إنما نزل على الذين ثبت هذا في طبائعهم غاية الثبات، قال: وربما قالوا: فلان شيطان على معنى الشهامة والنفاذ؛ لذلك قالوا لأبي حنيفة: شيطان خرج من البحر، قال الثعالبي: قلت في أبي الحسن اللحام: هو من شياطين الإنس، ورياحين الأُنس[1]. يعرض لنا الثعالبي من خلال حديث الجاحظ أمرين:

الأول: إن هذا التركيب عبارة عن وصف للقبح وأن الموصوف الشيطان، الأول صفة معنوية لشيء مادي بتركيب إضافي مع شيء غير مادي (الشيطان) كون هذه العبارة (قبح الشيطان) لتشير إلى صفة القبح في شيء مادي ما، نحو قولنا: هذا الشيء أقبح من شيطان.

فنجد الجاحظ يجيب عن سؤال كيف تم بناء هذا التركيب؟ أي الجمع بين معنوي ومادي (الشيطان ـ القبح) أجاب أنه تكون في طبائع هؤلاء البشر أن الشيطان صاحب أقبح صورة فضُرب به المثل في ذلك نتيجة للصورة الذهنية عنه في التراث الثقافي لدى كل البشر. علاقة ملكية هنا تبين الرابط بين الشيطان والقبح فالشيطان مالك للقبح، وقد بنيت على أساس رابط استعاري يعمل باتجاه عمودي بتوسيع المعنى الملموس بإضافته لمعنى مجرد.

الثاني: أن التطور الدلالي سار في اتجاه معاكس للمعنى الأصلي في التعبير بلفظ شيطان عن معنى المهارة والبراعة في كل شيء، فأطلقوا على أبي حنيفة شيطان خرج من البحر. ما سبب هذا التحول في الاتجاه المعاكس للمعنى الأصلي؟ نتيجة لوجود سمة انتقائية تجمع بينهما هي (بلوغ الغاية والذروة في مهارة ما) فأُعتبر أبو حنيفة شيطاناً لبلوغه الغاية والذروة في العلم، كما أن الشيطان بلغ الذروة في الشر.

مرحلة الإبداع: عملية التعميم الدلالي: تبدأ في هذه المرحلة عملية تحول كبيرة في استخدام هذا المركب الإضافي بإطلاقه على كل شيء قبيح في الحياة، على اعتبار أن هذا قمة القبح أن نسند هذه الصفة إلى الشيطان، ونظل نسند كل مبغوض ومكروه في حياتنا ومجتمعنا إلى الشيطان:

أ) خطوات الشيطان: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨))** [البقرة: ١٦٨].

ب) أصابع الشيطان: يقال (مَنْ والاه السلطان صبغه الشيطان).

---

(١) ثمار القلوب، ٧٣.

ج) رُقى الشيطان: الشعر.

د) مكيال الشيطان: العدل ميزان الباري، والجور مكيال الشيطان.

هـ) ظل الشيطان: العرب تقول للمتكبر الضخم: ظل الشيطان .

و) لطيم الشيطان: يقال لمن به لُقوة أو شتر (اللقوة: داء بالوجه ـ الشتر: انقلاب بجفن العين).

ز) مخاط الشيطان: الخيوط التي تتراءى في الهواء عند شدة الحر.

ح) بريد الشيطان: الوزغ.

ط) وكر الشيطان: قال ﷺ: إياكم والأسواق فإن الشيطان باض فيها وفرّخ.

ى) حبائل الشيطان: قال بعض السلف: احذروا النساء فإنهن حبائل الشيطان .

ك) خمر الشيطان: الدنيا خمر الشيطان، فمن شرب منها لم يفق منها إلا و هو ميت.

ل) رُءُوسُ الشياطين : يشبه بها ما يستقبح **(طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥))**[الصافات: ٦٥].

نستطيع من خلال العبارات السابقة التي حوت ألفاظاً غيبية نحو: شيطان ـ جن ـ إبليس ـ ملاك، أن نستخرج صورة هذه المخلوقات في عقل وتصور المتكلم العربي، أي الصورة الذهنية لها عنده، وهذا ما سنناقشه في هذا العنوان.

لو قمنا بدراسة كلمات: ملائكة ـ شياطين ـ جن؛ لوجدنا أنها تشير إلى أشياء لا تُرى بالعين، إننا ندركها من خلال الصورة الذهنية التي رسمها المتكلم عنها في ذهنه من خلال ثقافة مجتمعه، فتشير كلمة شيطان إلى كل شيء شرير كذا كلمة جن، أمّا كلمة ملائكة فتشير إلى كل شيء به خير وبركة ونفع للناس (كما في ذهن المتكلم)، ولهذا كان التركيب الإضافي قائماً على هذا التصور المكون في البنية التصورية بناء على صورته الذهنية لدى الفرد والمجتمع، ويأتي التطور الدلالي ليبدع منها معان جديدة لم تسمع من قبل، فنجد:

١ـ عبارات إضافية جديدة تولدت من إضافة كلمات أخرى لهذه الكلمات.

٢ـ عبارات إضافية موجودة من قبل أبدعت دلالات جديدة، باستخدامها في سياقات جديدة.

كل هذا في محاولة لإفراغ ما في هذه الكلمات من معاني الشر والخير التي تكونت في البنية التصورية؛ أنشأت الصورة الذهنية للمتكلم نتيجة لتجاربه الاجتماعية التي مر بها فحوت فكره وثقافة مجتمعه، فأصبحت هذه الكلمات (بما لدى من هالة كبيرة نُسجت حولها من الخير والشر، وما ترسخ في أذهان الشعوب عنها من فكرة الخوف والرهبة والخير والبركة) مصدر فكر يستلهم منها عبارات، وتراكيب إضافية جديدة فنقول في وصف جهاز كمبيوتر: كمبيوتر جن ـ وفلان ملاك ـ وفلان شيطان ابن شيطان، وهكذا.

صور جديدة للإبداع الدلالي:

أ) التطور بالحذف: ويكون ذلك بحذف المضاف (رأس الإضافة) والإبقاء على المضاف إليه، فتصبح العبارة: فلان شيطان أي شرير في كل شيء كالشيطان بدلاً من: صديق الشيطان.

ب) التطور بالتضاد: حيث تحمل الكلمة المعنى المضاد لها فنقول: فلان شيطان في حرفته، أي بارع فيها فبلغ القمة في احتراف هذه المهمة، وذلك نتيجة وجود سمة انتقائية جمعت بين المتضايفين وهي بلوغ الغاية في الحرفة بدلاً من بلوغ الغاية في الشر، وهذا يجعل المعنى يسير في الاتجاه المضاد للمعنى الأصلي. في الحقيقة أنه ليس في الاتجاه المعاكس، بل في الاتجاه نفسه وهو بلوغ الغاية في أمر ما؛ كان في الشر ووظف في وصف البراعة في كل الأعمال (خير/ شر).

البنية العصبية:

نشأت هذه العبارات نتيجة تأثير نفسي خاص كانت من أسباب وجودها فارتبطت به؛ فكان ظهورها نتيجة ذلك، لذا يبدو الجانب النفسي والعصبي بارزاً في هذه العبارات، لقد جمع الثعالبي في هذا الباب كل الأشياء الغيبية التي لا تُرى بالعين مثل الملائكة والجن والشياطين؛ لأنها ارتبطت بحياة البشر الظاهرة والباطنة بشكل كبير لأسباب كثيرة منها:

١. أنها شرط من شروط الإيمان بالله أن تؤمن بالـ (ملائكة وكتب ورسل وجن وشياطين).

٢. حاجة الإنسان إلى قوى أكبر منه تحميه، لذا بحث عنها في الغيب: (ملاك أو شيطان).

٣ . الملائكة والجن نمط نموذجي عند البشر يمثل الخير (الملائكة) ويمثل الشر (الشيطان).

في ضوء هذه الأسباب يمكن أن نفسر سبب ارتباط البشر بها، وما يصيب الجهاز العصبي للبشر عند إدراكهم أن شيء ما أتى من تلك المخلوقات أو له صلة بها، وانفعالهم عند سماعهم شيئاً عنهم. وهنا ندرك طبيعة العلاقة بين الذهن البشري وتلك العبارات؛ كذلك تحول أبطال هذه العبارات إلى مثل يحتذي به في الخير والشر، وقد جاءت على قسمين:

الأول: عبارات تختص بالملائكة:

ذكر الثعالبي عبارات خاصة بالملائكة نحو، خط الملائكة وطاووس الملائكة وغسيل الملائكة وقوط الملائكة وسيرة الملائكة وجناح الملائكة وجناح جبريل[1].

فنجد الصورة الذهنية لهذه المخلوقات الغيبية ارتبطت بالخير، فكل كلمة تضاف إلى الملائكة تنتمي إلى هذا المجال فلا نجد كلمة تضاف إلى كلمة الملائكة تشير إلى شر؛ فالمضاف إليه يُكْسِب المضاف خيراً وبركة، لهذا فإن المتكلم يتجه بذهنه ناحية كلمة الملائكة تحت تأثير مادة السيروتونين التي تقوم بمهمة شعور الإنسان بالطمأنينة النفسية، وتوجد بين خلاياه العصبية كمادة كيميائية ناقلة فتثير في نفسه الطمأنينة، فيختارها للكلمة الأولى (رأس الإضافة) فيكوّن بذلك مركب اسمي جمع فيه بين المتجانسين.

تحليل العبارات في ضوء علم الأعصاب:

لكي يتم إنتاج هذه العبارة فإنها تمر بمراحل مختلفة بين الإدراك والإنتاج هي:

١. مرحلة المثير/ المنبه: تثير بعض الأشياء داخل أو خارج المتكلم انتباهه فيلتفت إليها.

٢. مرحلة الإدراك: عندما يدرك المتكلم المثير بحواسه يستقبله جهازه العصبي لينقله للمخ.

٣. الأساس القضوي أو التصوري: وفي المخ يحاول المتكلم تكوين تصور عن هذا المثير.

٤. الأساس الدلالي: يتحول التصور إلى معنى في ذهنه عن الشيء المدرك هو **(فهمه له).**

٥. البناء المعجمي: يتجه المتكلم إلى معجمه الذهني ليختار ألفاظاً تناسب المعنى وتصوره.

٦. البناء النحوي: يقوم ذهنه بتركيب جمل نحوية من ألفاظ تعبر عن المعنى الذي أثاره.

٧. مرحلة النطق: يقوم فيها العقل بإصدار الأمر لعضلات النطق لتصدر أصوات الكلمات.

مثال تطبيقي:

لو طبقنا هذا القول علي بعض من عبارات الثعالبي نحو: (جناح الملائكة) فسنجد الآتي:

١. مرحلة الإثارة: قد يرد إلي ذهن المتكلم أو يسمع عن شخص يسلك سلوكا إنسانيا فيثيره.

---

(١) ثمار القلوب، ٦٣.

٢ـ مرحلة الإدراك: وصل له من حواسه ونقلته مادة السيروتونين للمخ عبر خلايا عصبية.

٣ـ الأساس التصوري: يبني تصورا في مخه عن الشيء المدرك، بعد حل شفراته في المخ

٤ـ الأساس الدلالي: يبحث في مخه عن معنى للتصور الذي أدركه بحواسه؛ معني الرحمة.

٥ـ البناء المعجمي: يتجه لمعجمه الذهني فيختار ما يدل علي الرحمة فيستعير جناح الطائر ويبحث عن مزيد من الطمأنينة فيجد أعلي صورها في الملائكة، فيستعيرهم لينسبها إليهم.

٦ـ البناء النحوي: بعد اختياره الاسمين، كون منهما مركباً نحوياً اسمياً هو(جناح الملائكة).

٧ـ مرحلة النطق : أعطي الأمر لعضلات النطق عنده بالتحرك لنطق هذه العبارة.

ومثل هذا حدث مع كل المركبات الإضافية السابقة في إطار عملية عقلية عصبية بالمخ .

الثاني: عبارات تخص الجن والشيطان:

تمر العبارة هنا بما سبق أن مرت به من مراحل تكوين العبارات التي تخص الملائكة، فقد حدث مثلها لتكوين عبارات تخص الجن والشيطان مع تغيير في المادة الناقلة وهي الادرينالين التي تقوم بتحفيز الجهاز العصبي الودي وتهيأ الجسم لمواجهة الخطر الخارجي[1] فتتغير العبارة الناتجة عن المادة الناقلة، بعد أن يقوم المخ بحل شفرتها ومعرفة الرسالة التي تحملها إليه نتيجة عملية الإدراك التي أوجدتها، فنري عبارات تسير في تجاه آخر، نحو: قبح الشيطان ورماح الجن وغيرها.

---

(١) الناقلات العصبية، Salah Hamouda، شبكة الانترنت.

فيما يضاف وينسب إلى القرون الأولى:

في هذا الباب عبارات تضاف وتنسب إلى القرون الأولى مثل: أحلام عاد وريح عاد وأحمر ثمود وصاعقة ثمود وأكل لقمان ونخوة فرعون وصرح هامان وكنوز قارون وسد الإسكندر ونوم أصحاب الكهف وجور سدوم وجوف حمار[1].

هذا الباب يمثل حقلاً دلالياً مستقلاً سعى المؤلف لجعله يدور حول فكرة واحدة فسهَّل علينا اكتشاف العلاقة الدلالية التي بين متضايفيه؛ لأنها نشأت عن فكرة مسيطرة على هذا الحقل، فنجد الباب يدور حول فكرة واحدة هي: استحضار رجال من التاريخ لهم بطولات معروفة مشهورة، ثم وظف هذا التاريخ بأشخاصه وأحداثه من جديد؛ باستخدامه في أحداث ومواقف مشابهة في عصرهم الذي يعد تاريخاً بالنسبة لنا، ثم يأتي أناس معاصرون لنا من شعراء وكتاب أو حتى من عامة الناس الذين لهم معرفة ولو بسيطة بالتاريخ، ليستخدموها في أحداث مماثلة للأحداث الماضية في أحاديثهم اليومية ومقولاتهم الأدبية. وبناء على ذلك يمكن تلخيص ما حدث لهذه العبارات في المراحل الآتية:

١ ـ مرحلة التكوين: وتمثل أصل الحدث والموقف الأول الذي قيلت فيه هذه العبارة.

٢ـ مرحلة الإبداع الأول: وتمثل التطور الأول للعبارة باستخدامها في عصر المؤلف.

٣ ـ مرحلة الإبداع المعاصرة: وتمثل عملية استحضار العبارة في عصرنا بدلالة جديدة.

٤ ـ مرحلة الإبداع المتوقعة: وهي محاولة الوصول إلى كل ما يمكن استخراجه من معانيها.

١. أحلام عاد:

مرحلة التكوين: ذكر الثعالبي: العرب تضرب المثل بأحلام عاد لما تتصور من عظيم خَلْقها، وتزعم أن أحلامها على مقادير أجسامها[2] تقوم بين المتضايفين علاقة ملكية تربطها بالنمط النموذجي (دراجة عمرو) نوعها من المملوك إلى الجزء: حيث نتصور الأجزاء باعتبارها ملكيات، فيكون معنى التبعيض في (يد زيد) توسعاً استعارياً لمعنى الملكية.

مرحلة الإبداع: يقوم الإبداع هنا بتوظيف هذه العبارة بإطلاقها على كل قوم تميزوا بالذكاء.

٢. ريح عاد. صاعقة ثمود:

مرحلة التكوين: ارتبطت هاتان العبارتان بحادثتين تاريخيتين هما: هلاك قوم عاد وثمود، يذكر الثعالبي أنهما يُضرب بهما المثل في الإهلاك والفناء، تقوم العلاقة الدلالية هنا على علاقة الملكية من المالك إلى الضحية، فهناك علاقة بين زيد وحادثة وقعت له، في (حادثة زيد) على أساس رابط استعاري مفاده أن ما يقع لنا من أحداث يعتبر ملكاً لنا.

مرحلة الإبداع: توظف العبارة في مواقف مشابهة كالدعاء على قوم بأن يُرسل عليهم عذابا كعاد وثمود.

٣. أحمر ثمود:

مرحلة التكوين: أحمر ثمود هو "قُدارة بن سالف" عاقر ناقة الله، يضرب به المثل في الشؤم والقوة، وأحمر هذا لونه فهو أحمر أزرق، والعلاقة بين المتضايفين علاقة الملكية، وجاء رابط استعاري ليوسع المعنى على أساس استعارة تصويرية؛ مفادها أن الأقارب ملكيات، وتدل عليه جمل نحو: وهب زيد ابنه

---

(١) ثمار القلوب، ٧٩.

(٢) ثمار القلوب، ٨٠.

للحرب، ولا يملك عمرو أخوالا، وهنا قرابة بين أحمر وقومه ثمود، يمكن أن ندخل هذه العبارة ضمن هذه العلاقة، فهو ملك لثمود وأحد أفرادها .

مرحلة الإبداع : تم توظيف هذه العبارة بإطلاقها على كل إنسان شؤم على قومه .

٤. جوف حمار:

مرحلة التكوين: قال الثعالبي: هو رجل من عاد يقال له حمار بن مويلع، وجوفه واد له طويل عريض لم يكن ببلاد العرب أخصب منه وفيه من كل الثمرات، فخرج بنوه يتصيدون فأصابتهم صاعقة فهلكوا فكفر، وقال: لا أعبد من فعل هذا ببني ودعا قومه إلى الكفر فمن عصاه قتله فأهلكه الله تعالى وأخرب واديه فضرب العرب به المثل في الخراب والخلاء[1].

هنا علاقة ملكية كما في النمط النموذجي (دراجة عمرو) لكن القوم طوروا منذ عصره في دلالة العبارة لتشير إلى كل مكان خرب أو خلاء، فاستخدمت على نطاق أشمل وأوسع.

مرحلة الإبداع: يقوم الإبداع في توظيف واستخدام هذه العبارة والتي قبلها على مدى علم الناس بتاريخ هؤلاء القوم (قدارة بن سالف، وحمار بن مويلع) فلو علم الناس لجعلوهم مضرب لأمثالهم، كما فعل القدماء، ولكن لم يحدث هذا نظرا لأن الناس لا يعرفونهم فلم يعد لهم ذكر عندهم .

٥. كنوز قارون:

مرحلة التكوين: هو قارون كان من قوم موسى، وذكره القرآن بكثرة ماله، والعلاقة هنا علاقة ملكية.

مرحلة الإبداع: كان مضرب المثل في شدة الغنى ولا زالت العبارة مستخدمة بهذا المعنى حتي زماننا.

٦. سد الإسكندر:

مرحلة التكوين: هو سد يأجوج الذي جاء في القرآن بناه ذو القرنين، وهو الإسكندر عند أكثر الناس، والعلاقة بين المتضايفين هنا علاقة الملكية كما في النمط النموذجي .

مرحلة الإبداع: أصبحت العبارة مضرب المثل في الحصانة والوثاقة، فتطلق علي كل شيء حصين .

٧. صرح هامان:

مرحلة التكوين: هو قصر عال بناه هامان لفرعون من الآجر، وهو أول من استعمله.

مرحلة الإبداع : يضرب بها المثل في البناء الشاهق الحصين.

٨. نوم أهل الكهف:

مرحلة التكوين: هم قوم آمنوا بالله وهربوا بدينهم وناموا في كهف سنين، ثم قاموا وماتوا بعد ذلك وهم مذكورون في القرآن، والعلاقة بين المتضايفين علاقة ملكية، ولكن مع رابط استعاري (من الجزء المكون إلى الخاصية المميزة) فهي علاقة تربط بين حدث مشهور للقوم وهو خاصية مميزة لهم، وأصحابها : الحدث المميز (النوم) + أصحاب الحدث (أهل الكهف) .

مرحلة الإبداع: نظراً لأنه لم ينم قوم مثل هذه المدة أصبحوا مضرب المثل في النوم الطويل.

٩. جور سدوم:

مرحلة التكوين: سدوم ملك في الزمن الأول جائر له قاض أجور منه، والعلاقة الدلالية هنا علاقة ملكية تقوم على علاقة استعارية مفادها أن ما يقع لنا من أحداث تعتبر ملكاً لنا.

---

(١) ثمار القلوب، ٨٤.

مرحلة الإبداع: كانت مضرب المثل للجور والظلم عند القدماء، ولكنه غير معروف في عصرنا.

ملاحظة شاملة: تنقسم العبارات الخاصة بهذا الباب إلى:

١ـ عبارات مازالت مضرب المثل حتى عصرنا، ذلك لأن قصتها معروفة حتى الآن، فقد ذُكرت في القرآن نحو: ثمود ـ عاد ـ أهل الكهف ـ قارون ـ هامان.

٢ـ عبارات غير معروفة في المجتمع المعاصر، ذلك لأنها غير مذكورة في القرآن، فلم تدون في كتابنا الخالد؛ فمحيت من ذاكرة الأمة نحو: سدوم ـ جوف حمار.

فيما يضاف وينسب إلى الصحابة والتابعين:

هنا نمط جديد من الإضافة وهو الإضافة إلى الصحابة والتابعين فهم قدوة ومضرب المثل لتلك الصفات التي يتمتعون بها، قد تحولوا في البنية التصورية لهذا المجتمع إلى نمط نموذجي يقاس عليه، ومن الصفات تأتي دلالات جديدة توحي بها، وتبدع منها كل يوم.

قال الثعالبي: سيرة العمرين ودرة عمر وقميص عثمان وفضائل على وصدق أبي ذر ومشية أبي دجانة ودهاء معاوية وفقه العبادلة ووليمة الأشعث وحلم الأحنف وزكن إياس وزهد الحسن وورع ابن سيرين، وسجع المختار وشجة عبد الحميد[1].

١ـ سيرة العمرين:

مرحلة التكوين: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما جُمع بينهما لسيرتهما الطيبة، وغلب اسم عمر على أبي بكر، يضرب بسيرتهما المثل إذ لا عهد بمثلهما بعد النبيﷺ. قال بعض البلغاء يصف بعض الملوك: رأيت صورة قمرية وسيرة عمرية. العلاقة الدلالية التي تقوم بين المتضايفين علاقة الملكية بناء على علاقة (من الجزء المكون إلى الخاصية المميزة) فتكون سيرة العمرين هي الخاصية المميزة لهما، وهما يمتلكاها.

مرحلة الإبداع: تستعار هذه العبارة في مواقف مشابهة للتعبير عن المبالغة في حسن سيرة الشخص بأن له سيرة كسيرة العمرين، فتتحول الصورة الذهنية المتمثلة في العبارة إلى نمط نموذجي يقاس عليه في الوصف بحسن السيرة .

٢ـ درة عمر:

مرحلة التكوين: قال الشعبي: كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج، وهذا يعنى أن هذه الدرة أصبحت نمطاً نموذجياً لآلة العقاب الشديد فهي أشد من سيف أشد الحكام وهو الحجاج. فالعلاقة بين المتضايفين علاقة ملكية كما في النمط النموذجي دراجة عمرو.

مرحلة الإبداع: توظف العبارة لوصف كل آلة عقاب بالشدة، فهي تمثل الصورة الذهنية عند أبناء المجتمع كالنمط النموذجي آلة العقاب.

٣ـ قميص عثمان:

مرحلة التكوين: أصبح قميص عثمان بن عفان المضرج بالدم الذي قتل فيه؛ مضرب المثل للشيء يكون سبباً للتحريش، والعلاقة هنا علاقة ملكية، كما في النمط النموذجي دراجة عمرو.

مرحلة الإبداع: يكون ذلك بتوظيف العبارة في مواقف مشابهة.

---

(١) ثمار القلوب، ٨٥.

تتنوع هذه العبارات في صور مختلفة ودلالات متعددة، يمكن أن نعرضها في هذا الشكل:

العبارة الأصلية	العلاقة متضايفين	مرحلة الإبداع	العلاقة الجديدة
فضائل على	الخاصية المميزة	فلان له فضائل على	التمثيل للشبه بينهما
صدق أبي ذر	الخاصية المميزة	فلان له صدق أبي ذر	التمثيل للمشابهة
دهاء معاوية	الخاصية المميزة	فلان له دهاء معاوية	التمثيل للمشابهة
فقه العبادلة	الخاصية المميزة	فلان له فقه العبادلة	التمثيل للمشابهة
وليمة الأشعث	الملكية كالنموذج	لفلان وليمة أشعث	التمثيل للمشابهة
حلم الأحنف	الخاصية المميزة	لفلان حلم الأحنف	التمثيل المشابهة
زهد الحسن	الخاصية المميزة	لفلان زهد الحسن	التمثيل المشابهة

النتائج:

تتكرر هذه العبارات في صور مختلفة، ويمكن أن نخرج من هذا الباب بظاهرة عامة تشمل كل العبارات، وهي أن هؤلاء الأشخاص تحولوا إلى نمط نموذجي له صورة ذهنية، تمثل هذه الصفة في ذاكرة أبناء هذا المجتمع، يمكن أن تستحضر للتمثيل في مواقف مشابهة فقد أصبحت مضرب المثل، بما تحمله من صفات محبوبة أو مكروهة على السواء.

في ذكر رجالات العرب في الجاهلية والإسلام مختلفي الألقاب والمراتب:

مضافين إلى أشياء مختلفة يضرب بأكثرهم الأمثال:

امتدادا لهذه الظاهرة وهي تحول الأشخاص إلى نمط نموذجي وبناء صورة ذهنية لهم في ذاكرة الأمة يتمثل بها، جاء هؤلاء الرجال من العصر الجاهلي والإسلامي ليكملوا هذه الصورة الذهنية والبنية التصورية للأنماط النموذجية الممثلة لفكر هذه الأمة؛ فيما تحب وتكره من صفات حملها هؤلاء الرجال من خلال أسمائهم المعروفة، ومواقفهم المشهورة.

وفي هذا الباب تقوم عملية الإضافة - إلى جانب ما سبق - بتقديم هذا التقسيم:

١- أعلام أضيفوا إلى قومهم نحو: حاتم الطائي - كليب وائل - سحبان وائل - عرّاف اليمامة - شيخ مَهْو - مجنون بني عامر - حواري النبي - أشج بني أمية - جبار بني العباس .

٢ - أعلام أضيفوا إلى بلادهم نحو: وضاح اليمن - قريش الأباطح .

٣- أعلام أضيفوا إلى ملامحهم الخاصة نحو: شيبة الحمد (أبو طالب).

٤ - أعلام أضيفوا إلى قدراتهم الخاصة نحو: أبو عروة السّباع - زيد الخيل - سحبان وائل - عروة الصعاليك - ضيف حاتم - وافد البراجم - سعد المطر - ملاعب الأسنة - أزواد الركب - سعد العشيرة - يسار الكواعب - طفيل الأعراس - سعد القرقرة - شيخ المضيرة - أمين الأمة - رباني الأمة - حبر الأمة .

هؤلاء الأعلام اتصفوا بصفات مختلفة أُضيفوا إليها، ثم أصبحوا مضرب المثل في هذه الصفات، بل تحولوا في ذاكرة الأمة إلى صورة ذهنية في البنية التصورية لأفراد المجتمع كأنماط نموذجية لهذه الصفات .

وهذا الأمر ينطبق على كثير من أبواب الكتاب فنجد في:

الباب السابع: ما يضاف وينسب إلى القبائل نحو إيلاف قريش - جود طيّئ - لؤم باهلة - مُهور كندة.

الباب الثامن: ما يضاف وينسب إلى رجال مختلفين: حكمة لقمان وجود كعب وبخل مادر ويدا عدل.
الباب التاسع: فيما يضاف وينسب إلى العرب: تيجان العرب ـ جمرات العرب ـ أثافي العرب.
الباب العاشر: فيما يضاف إلى الإسلام والمسلمين: سهم الإسلام ـ بيضة الإسلام ـ عصا المسلمين.
الباب الحادي عشر: ما يضاف إلى القراء والعلماء: فقه أبي حنيفة ـ جامع سفيان ـ طفرة النظام.
الباب الثاني عشر: فيما يضاف إلى أصحاب المذاهب:خف الرافضي،نجدة الخارجي،أكل الصوفي
الباب الثالث عشر: فيما يضاف إلى ملوك الجاهلية: أخلاق الملوك،شقائق النعمان،جوه الخلافة.

ويستمر الثعالبي في عرض أبواب كتابه على هذه الطريقة؛ ذاكراً في كل باب منها حقلاً من حقول الحياة، وما ينسب ويضاف إلى هذا الحقل من تراكيب إضافية، بينت علاقة ما بين المتضايفين هي في غالبها متكررة، لذا اختصرت في عرضها خشية الإطالة والتكرار.

فيما يضاف وينسب إلى أهل الصناعات:

تستوقفني بعض أبواب الكتاب لما فيها من علاقات جديدة بين المتضايفين، وأفكار تحتاج إلى دراسة وتحليل كهذا الباب، ففي كل مجتمع مجموعة من الحرف والصناعات، بل يمكن أن نتعرف على هذا المجتمع من خلال أصحاب هذه الحرف، وما يتكون حول أسمائهم من تراكيب إضافية، ولهذا سندرس كل عبارات الثعالبي في هذا الباب .

١. سُرى القين:

مرحلة التكوين: قال الثعالبي: أصله أن القين ـ وهو الحداد بالبادية ـ ينتقل في مياه القوم، فإذا كسد عليه عمله قال لأهل الماء: إني راحل عنكم الليلة ـ وإن لم يرد ذلك، ولكنه يشيعه ليستعمله من الناس من يريد استعماله ـ ولما كثر ذلك من قوله قالوا: إذا سمعت بسري القين، فاعلم أنه مصبح[1].

هذه العبارة تلخص حدثاً هاماً في حياة أهل البادية وهو كذب هذا الرجل (القين) في حديثه، ثم تحولت هذه العبارة إلى رمز يشير إلى معنى يمكن استحضاره بها هو: فلان كاذب وإن لم نقل ذلك، فعندما نقول: (سُرى القين) فإننا نعنى أنه حديث كذب كما نقول في عصرنا: (كلام الليل) أي أنه كلام كذب.

المعنى غير المنطوق: من خلال الحديث السابق يمكننا أن نعطى ملاحظة جديدة، هي ما أطلقنا عليه (المعنى غير المنطوق) حيث تصل الفكرة أو المعنى المطلوب إلى عقل المستمع دون أن ينطق بها المتكلم وهذا الأمر شائع في اللغة، فعلى كل متكلم أن يحسب عدد الأفكار والمعاني التي ينقلها إلى سامعه، وعدد الكلمات التي تعبر فعلاً عن تلك الأفكار، فنجد كثيراً من المعاني والأفكار قد وصلت إلى المستمع دون أن ننطق بها اعتمادا على فهم المتكلم، ومعرفة المجتمع بأصل القصة.

إننا نكوِّنُ من إضافة مصدر الفعل (سُرى) إلى فاعله تركيباً إضافياً لنصل إلى معنى غير منطوق، هنا تقوم بين المتضايفين علاقة جديدة هي علاقة صرفية نحوية كونت دلالة جديدة هي: مصدر الفعل (سُرى) + الفاعل (القين) = دلالة جديدة (فلان كاذب).

قال الثعالبي: يضرب مثلاً لمن يظهر الشخوص وهو مقيم، ويعرف بالكذب فلا يصدّق وإن صدق[2]، لقد تحول من شخص تطلق عليه هذه العبارة (سرى القين) أي الحداد إلى موصوف بالكذب وإن صدق.

---

(١) ثمار القلوب، ٢٤٠.
(٢) ثمار القلوب، ٢٤٠.

مرحلة الإبداع: توظف هذه العبارة بتحويلها إلى عبارة يشار بها أو يُكنُّ عن شخص معروف بالكذب حتى لا يفضح أمره بين الناس هنا نلاحظ أن الكلمة الموحية. كما في كلمة جن التي توحي بالشر أو المهارة في العمل. وكلمة ملائكة التي توحي بالخير والبركة ليست وحدها القادرة على الوحي بهذه المعاني، ولكن قد تكون العبارة كذلك موحية يمكن أن يُكَنُّ بها عن المعنى غير المنطوق، فتظهر ذلك كما في العبارة السابقة: سرى القين = شخص كاذب.

٢. راية بيطار:

مرحلة التكوين: قال الثعالبي: يضرب مثلاً في الشهرة فيقال: أشهر من راية بيطار، نرى هذه العبارة تحمل دلالة غير منطوقة، حيث نعنى بعبارة: راية بيطار أن هذا الشخص مشهور كشهرة راية بيطار، على الرغم من أننا لم ننطق بهذا في العبارة. والعلاقة بين المتضايفين علاقة هنا علاقة ملكية، كما في النمط النموذجي (دراجة عمرو).

مرحلة الإبداع: تستعار هذه عبارة فيُقال: فلان راية بيطار أي مشهور كشهرة راية البيطار، هنا نكون قد أقمنا علاقة غير منطوقة بين هذا الموقف الذي نحن بصدده، وأصل العبارة كما يقال في عصرنا: فلان نار على علم، أي فلان مشهور كالنار إذا وضعت فوق الجبل يراها الجميع.

٣. راحة صباغ:

مرحلة التكوين: صانع الأصباغ، قال الثعالبي: يضرب مثلاً لما يستقبح، ويشبه بها ما ليس يستنظف[1]، العلاقة هنا علاقة ملكية من خلال رابط استعاري مفاده أن أجزاء جسمنا ملك لنا أي علاقة الكل بالجزء، ولكنه حملها دلالة جديدة هي التعبير عن الشيء القذر المستقبح، وهو يدخل ضمن الدلالة غير المنطوقة للعبارة، فلم ينطق المتكلم بلفظة: وسخ أو غير نظيف كما فهمنا من العبارة، وهذا راجع إلى ما استقر في البنية التصورية للمتكلم والمستمع عن هذه اليد، وما يعلق بها من أشياء غير نظيفة، وهنا تلعب البنية التصورية دور مخزن لذاكرة المتكلم التي توضع فيها الصور الذهنية والخبرات السابقة عن الأشياء، لاستحضارها عند الحاجة حيث تستدعى من الذاكرة على الفور، وتمثل الصور المرئية في الذهن للكلمة المنطوقة، والمعنى المقصود غير المنطوق للكلمة.

مرحلة الإبداع: يمكن أن نبدع من هذه العبارة معان جديدة. كما يحدث في عصرنا. عندما نقول: يد ساحر، لمن كان بارعاً في عمله كالطبيب مثلاً على الرغم من أننا لم نذكر في هذه العبارة كلمة ماهر أو بارع في عمله، إنه توظيف للحواس للتعبير عن معان غير المنطق.

٤. بيت الإسكافي:

مرحلة التكوين: قال الثعالبي: يضرب به المثل فيقال: بيت الإسكافي فيه من كل جلد رقعة، ومن كل أدم قطعة، كما يقال: هم كبيت الأدم إذا كانوا مختلفين وفيهم الشريف والوضيع[2]، والعلاقة التي تربط بين المتضايفين علاقة ملكية، فبيت الإسكافي ملك له كما بالنمط النموذجي، لكن تم توظيف العبارة لتدل على معنى غير منطوق؛ هو أن فلان الذي بيته كبيت الإسكافي قد جمع فيه بين المتناقضات، وأن فيه من كل شيء جزء، وإن كان مختلفاً عما جاوره.

---

(١) ثمار القلوب، ٢٤٠.
(٢) المرجع السابق، ٢٤١.

مرحلة الإبداع: لننظر إلى جانب آخر من العبارة وهو دلالتها على معنى آخر هو إهمال الصانع لنفسه فلا يقدم شيئاً من صنعته لبيته، فهو كبيت الإسكافي الذي يصنع الأحذية من الجلود، مع هذا نجد بيته مكون من رقع من كل جلدة، وهذا ما لا يصنعه مع الزبائن، كما في عصرنا تقال عبارة: باب النجار اختصاراً لقولنا: باب النجار مخلّع، أي أنه رغم كونه صاحب الحرفة وصاحب الباب ومالكه إلا أن بابه متهالك، وهو يدخل أيضاً في باب المعنى غير المنطوق.

٥ـ جنون المعلم ـ رغفان المعلم:

مرحلة التكوين: في البنية التصورية لهذا المجتمع صورة ذهنية للمعلم كنموذج للشخص محل السخرية من الآخرين كشخصية المهرج، وذلك لسلوكه مع الناس ومع التلاميذ، فأصبح كل شيء يضاف إلى اسم معلم يكتسب منه هذه الصفة، فنقول: رغفان المعلم إشارة إلى الرغفان التي يأخذها المعلم مقابل عمله، وهو أقل ثمن يأخذه عامل عن عمله، كذلك عبارة جنون المعلم دليل آخر على مدى فقدان هؤلاء القوم لمكانتهم، فهم محل سخرية من الناس بهذا العصر، وقد سخر الجاحظ من معلم الصبيان ورأى ألا تؤخذ بشهادته، لأنه يغدو على الصبيان ويروح إلى النساء، وهنا نلاحظ تحول النمط النموذجي إلى معنى كبير؛ تستلهم منه كثير من المعاني، بل إنه يخلع ما لديه من معان على ما جاوره من ألفاظ، فكلمة (معلم) تحول معنى كل ما يضاف لها من أشياء محترمة إلى أشياء يسخر منها، وهو تحميل للمنطوق بمعنى غير منطوق نتيجة للصورة الذهنية المكونة في ذاكرة هذا المجتمع حول كلمة معلم .

مرحلة الإبداع: تأتي هذه العملية من توظيف كلمة (معلم) بإضافتها إلى أشياء أخرى غير الرغفان، نحو: ثوب المعلم – عصا المعلم، لتحمل مع كل تركيب المعنى السابق نفسه .

في الآباء والأمهات الذين لم يلدوا والبنين والبنات الذين لم يولدوا :

هذا الباب يعد أكبر الأبواب في بيان قيمة دراسة العلاقة الدلالية في باب الإضافة، حيث تتحول تلك العلاقة بين المتضايفين من علاقة الملكية، وما يتفرع عنها من علاقة قرابة بين المتضايفين، على أساس رابط استعاري مفاده أن أقاربنا ملك لنا فنقول: لدى زيد أخوال أي هو يملك أخوالاً.

إن الأمر لم يعد كذلك ـ كما سنرى ـ بل تطور ليصبح المقصود بعبارة "ابن فلان" معنى أعمق من ذلك، وهو تغلغل هذه الصفة في هذا الشيء؛ حتى صار أباً لها أو أماً أو ابناً، إنه تحول في دلالة اللفظ من الدلالة على معنى القرابة المعروفة ومعنى الأبوة إلى معنى جديد لتلك العلاقة، فأصبح يعني تمكن هذا الشخص من تلك الصفة، لهذا لم تعد علاقة قرابة هنا كما كنا نعرفها سابقاً من ميلاد وأرحام وما شابه ذلك، لذا جاز أن تقوم هذه العلاقة بين آباء وأمهات لن ولم يلدوا فكيف يلد الصانع حرفته ؟ ومتى ولدتْ الحرب ابنها قشعم ؟ لندعوها: أم قشعم وكيف ولد إبراهيم (عليه السلام) الضيفان ؟ عندما ندعوه: بأبي الضيفان.

كل هذه الأسئلة سنجيب عليها من خلال دراسة عبارات هذا الباب:

١ـ أبو الضيفان :

مرحلة التكوين: قال الثعالبي: أبو الضيفان إبراهيم عليه السلام؛ لأنه أول من قرى الضيف وسن لأبنائه العرب القِرى، وكان إذا أراد الأكل بعث أصحابه ميلاً في ميل يطلبون ضيفاً يؤاكله[1].

إن العلاقة بين المتضايفين هنا علاقة مركبة منبثقة عن عدة علاقات متسلسلة بنيت كل واحدة منها على الأخرى، كما يأتي:

١ـ العلاقة الأصلية بين المتضايفين: علاقة ملكية ترتبط بالنمط النموذجي (دراجة عمرو).

٢ـ تم توسيعها برابط استعاري: مفاده أن الأقارب هم ملك لنا نحو: ابن هند فهو ملك لهند، وأبو الضيفان وهو إبراهيم فهو مالك لهم، بناء على هذا الرابط الاستعاري.

٣ ـ تم التوسيع في دلالة العبارة: بعلاقة مجازية تشير إلى أن إبراهيم أبو الضيفان مجازاً وليس على وجه الحقيقة، وبهذا يصبح كل ضيف ابناً لإبراهيم من هذا الباب، وتتحول العلاقة من علاقة قرابة بين إبراهيم والضيفان إلى العلاقة الأصلية وهي علاقة الملكية فإبراهيم يعتبر مالكهم؛ لأنه أول من قرى الضيف وسن لأبنائه العرب القِرى، والأبوة هنا تعني الزعامة والسبق في هذه السنة الحسنة وليست علاقة نسب حقيقية، على الرغم من وجود علاقة ملكية بينهما.

مرحلة الإبداع: منذ عصر المؤلف وما سبقه من عصور كان ولا يزال هذا التركيب الإضافي موجوداً يحمل الدلالة القديمة والمعاصرة، مما يعني أن هذا المعنى الجديد ليس جديداً كما نزعم، وأن الآباء والأجداد وصلوا إلى هذا المعنى قبلنا، بل وظّفوه كما نفعل الآن ونطقوا بكثرة، لقد شاع هذا التركيب الإضافي في عصرنا فوظفناه للتعبير عن معان جديدة منها:

١ـ التعبير عن الكنية الخاصة بكل اسم نحو: أبو علي كنية لمن اسمه حسن، و أبو داود لمن اسمه سليمان، وابن يعقوب لمن اسمه يوسف.

٢ـ التعبير من الرياسة في الصنعة نحو: أبو النجارة، أبو الصناعة الجديدة، أبو النهضة.

٣ ـ التعبير عن المهارة في الصنعة نحو: أبو الفن، أبو العلم، أبو الميكانيكة.

---

(١) ثمار القلوب، ٢٤٥.

٤. التعبير عن الفهم والذكاء والجمال نحو: أبو المفهومية، أبو النصاحة، أم الحُسن.
٥ ـ التعبير عن المدح يا أبا محمد لمن أراد أن يمدح شخصاً حتى ولو كان بلا ولد.
٦. التعبير عن سب الأشخاص نحو: ابن مجنون، أبو الغباء، أبو كالدهاء، ابن اللئيمة.
٧. التعبير عن القرابة مثل العمومة: أبويّ عامر حضر، يقصد حضر عمه عامر.

هذه العبارات تطلق في عصرنا ليست بهدف اعتبار هذا الشخص نمطاً نموذجياً لهذه الصفة، بل تطلق كمحاولة خلع هذه الصفة عليه، فمكانة الرياسة في الصنعة والمهارة في عمل ما درجة عالية، ومكانة كبيرة وتاج عظيم نحاول وضعه على رأس هذا الشخص.

الأصول التاريخية للنمط النموذجي :

إطلاق كنية معينة على اسم ما لا نعنى به هذا الشخص المعاصر لنا، أو له ابنا اسمه عليٌّ في من قيل له: يا أبوعلي وكان اسمه حسن، ولكن هذا قياساً على نمط نموذجي قديم؛ فمن اسمه حسن قلنا له: يا أبا على نسبة إلى الحسن بن على كرم الله وجهه، كما قلنا لمن اسمه سليمان: يا أبا داود نسبة إلى سليمان بن داود عليهما السلام، ومن اسمه يوسف قلنا له: يا ابن يعقوب نسبة إلى يعقوب عليهما السلام، حتى قالوا: إنه بريء براءة الذنب من دم ابن يعقوب، إن هؤلاء الأشخاص تحولوا إلى نمط نموذجي في البنية التصورية للأمة كلها، ومن هنا جاء هذا التركيب الإضافي .

٢. أبو مُرّة:

مرحلة التكوين: قال الثعالبي: أبو مرة إبليس وإنما يكني بهذه الكنية؛ لأن الشيخ النجدي الذي ظهر إبليس في صورته فأشار على قريش بأن يكونوا سيفاً واحداً على النبي ﷺ كان يكني أبا مرة[١]، تكوَّن هذا التركيب على إثر حدث تاريخي فربط بين الحدث وصاحبه وسجلته كتب الأدب، لكنه نُسِي بعد ذلك وبقي ما سجلته كتب الأدب والتاريخ، لكن العبارة كانت مستخدمة في عصر المؤلف على الرغم من الفارق الزمني بين العصرين، مما يدل على أن كثيراً من العناصر غير اللغوية تؤثر علي تكوين العبارة واستخدامها، كالعنصر التاريخي و ما سجله من أحداث ـ كما ذكرت من قبل ـ فإن البنية التصورية للمعنى تدخل عناصر في تكوينها لغوية وغير لغوية؛ ونجد هنا العنصر التاريخي قد أثر في تكوين البنية التصورية لهذا لمعنى، فعند تحليل المعنى يصبح كالشكل الآتي: تفكيك المعنى = لفظ لغوي (عنصر لغوي) + حدث تاريخي (عنصر غير لغوي) = المعنى الجديد (الذي سيولده المتكلم كل يوم).

٣. أبو يحيي:

مرحلة التكوين: قال الثعالبي: يقال لقابض الأرواح: أبو يحيي، كما يقال للحبشي: أبو البيضاء وللأعمى: أبو البصير[٢]، هذه التسميات من الأضداد حيث يسمي الشيء بضده من باب التفاؤل والتشاؤم، العلاقة بين المتضايفين تقوم على الملكية كما في النمط النموذجي مع رابط استعاري مفاده أن الأقارب ملكيات لنا، لكن الجديد هنا تحول هذا التركيب الإضافي من التعبير عن علاقة القرابة إلى التعبير الرمزي عن شخص ليس من البشر بل من الملائكة.

(١) ثمار القلوب، ٢٤٥.
(٢) ثمار القلوب، ٢٤٦.

٤. أبو سريع:

قال الثعالبي: هو النار في العرفج ونار العرفج أسرع النيران التهاماً، وهي نار الزحفتين[١]، وسميت النار بأبي سريع لأنها تلتهم كل ما يصادفها في سرعة شديدة، وهي صفة للنار أصبحت اسما لها كأنها شخص اسمه سريع وله أب هو أبو سريع، والعلاقة هنا بين المتضايفين علاقة ملكية بناء على رابط استعاري يشير إلى علاقة قرابة، ثم تطورت لتشير إلى شخص لا يلد بل هو جماد، فتم توظيف صفة النار لإنتاج مركب إضافي، كنوع من الإبداع الدلالي الذي يبين قدرة اللغة على توظيف وحداتها اللغوية، وإنتاج مركبات ودلالات جديدة كل يوم.

٥. أبو براقش:

طائر منقش بألوان النقوش يتلون في اليوم ألواناً، ويضرب به المثل للمتلون[٢]، وهذا التلون بالبراقيش جعل هذه الصفة اسماً له كما في أبو سريع لنار، فيبالغ فيها بإضافتها إلى كلمة (أبو).

٦. أبو عمرة. أبو مالك:

الكلمتان كنيتان للجوع فتحول التعبير عن الشيء من اسمه إلى كنيته هنا نجد تحولاً آخر في استخدام الإضافة، فتصبح كنية الشيء اسماً له وليست الصفة كما في أبي سريع للنار.

الكُنية والإبداع اللغوي:

يذكر الثعالبي قائمة كبيرة بأسماء أشياء لا تلد من نبات وحيوان وجماد وما يقابلها من كُنى لها، هذه القائمة لا نجد فيها رابطاً بين الاسم وكنيته، وأحسن الظن أنها أتت من الرؤية الخاصة للمتكلم الذي يرى في الأشياء جوانب، ربما لا يراها غيره من أبناء اللغة والبيئة نفسها، فيطلق على هذا الشيء اسماً جديداً في شكل كنية له فيلقى قبولاً عند الناس فتصبح اسما له، هذا يشبه ما يحدث في عصرنا من إطلاق أسماء على أشخاص وأشياء كتدليل لهم أو سخرية منهم، قد تكون هناك علاقة بين الاسم الجديد والاسم القديم، أو لا توجد علاقة إلا في رأس المتكلم فقط.

ربما نجد للشيء الواحد أكثر من كُنية نحو: أبو الجامع أبو الخير للخوان وتلك صفاته، فهو الجامع بين الآكلين، وهو المحتوى على الخير من الطعام، وهذا راجع إلى رؤية المتكلم، وما دار في عقله من صفات الخوان. هذا يشبه ما حدث في عصرنا من تعدد أسماء الشيء الواحد كما في التليفون المحمول: الجوال – نقال - خلوي، فله اسم في كل بيئات عربية فهو:

١. في السعودية: الجوال. ٢. في الشام: الخلوي. ٣. في مصر: المحمول.

قد جاء هذا التعدد من اختلاف البيئات اللغوية حول رؤيتها للشيء الواحد في لغة واحدة.

هذا الباب الخاص بمن يكنون بأبي كذا وأم كذا؛ مليء بالعبارات التي توضح أن باب الكنية من أكبر الوسائل في هذا المجتمع للتعبير عن فكر ورأى الأفراد في ما حول لهم من أشياء، فاستخدمها المتكلم كوسيلة لترجمة رؤيته الخاصة حول الشيء، لهذا تباينت الألقاب التي يطلقها المتكلم على الأشياء، فأصبح الترميز بديلاً للتصريح في لغة التحاور بين أفراد المجتمع، فناب الرمز مكان الاسم، هذا الباب يحتاج إلى دراسة مستقلة تتناول جذور كل اسم إضافي، توضح كيف تفاعل هذا المجتمع البدوي مع لغته ؟ والأشياء التي يعيش معها ؟ وكيف جعل اللغة وسيلة للتعبير عن

---

(١) ثمار القلوب، ٢٤٧.
(٢) ثمار القلوب، ٢٤٧.

أفكاره ؟ وكيف وظّف هذا القالب اللغوي (الإضافة) في تصوير كل ما يتكون في رأسه من أفكار حول الأشياء ؟ حتى وإن كان ذلك التصور متنافراً مع الواقع المحيط به أحياناً.

الخلاصة:

خلاصة القول في هذا الباب: أن صيغة (أبو فلان، وأم فلان، وابن فلان) تحولت من الدلالة على علاقة القرابة بين شخصين إلى دلالات جديدة، يتحكم فيها كل من شطري الإضافة (رأس الإضافة والمضاف إليه) فالكلمة الأولى: توجه المعنى إلى شيء، والكلمة الثانية توجه المعنى إلى شيء آخر، واجتماعهما معاً ينتج عنه المعنى الثالث. ثم تدخل عناصر غير لغوية تبدل وتغير في البنية التصورية والصورة الذهنية للمتكلم، فينتج معنى رابع وخامس وسادس.

إننا ـ كما ذكرت آنفا ـ في حاجة إلى دراسة أكبر لهذا النوع من التركيب الإضافي القائم على الكُنية؛ نظراً لما نجده في بطون الكتب من سيل من العبارات من هذا النوع، وما يسهم في إنتاجه من سياقات لغوية وغير اللغوية، توجهه وتأثر فيه عناصر تاريخية ونفسية واجتماعية وثقافية وبيئية مختلفة.

حوار بين القدماء و د. غاليم حول العلاقة بين المتضايفين:

يرى د. غاليم أن القدماء لم يهتموا بالبنيات الدلالية للأسماء المتضايفة، ولم يهتموا بالعلاقات التصويرية أو المعرفية الممكن قيامها بين مختلف معاني الإضافة، فأوردت هذه المعاني في صورة ناقصة (تجمل أحياناً في معاني اللام ومِن وفي) وفي شكل لوائح لا يربط بين عناصرها رابط، أي أن بنية الإضافة عوملت باعتبارها نوعاً من المشترك اللفظي وليس باعتبارها مجموعة من المعاني المبنية، أو المتعالقة على أساس معين[1].

قول د. غاليم يجعل من نظرة القدماء للعلاقة بين المتضايفين نظرة محدودة في إطار معنى حروف الجر(اللام. من. في) وهذه النظرة من القدماء نظرة شاملة لكل العلاقات التي تربط بين المتضايفين، وفي تحليل د.غاليم للعلاقات بين المتضايفين في إطار نظرته الجديدة نجد أنه لم يخرج عن تلك العلاقات التي حددها القدماء في معاني هذه الحروف، وهي علاقة الملكية.

لقد وضع القدماء ضابطاً لهذا الأمر هو أن (الإضافة تكون بمعنى اللام عند جميع النحويين)، وزعم بعضهم أنها تكون أيضاً بمعنى من أو في ... وضابط ذلك أنه إن لم يصلح إلا تقدير من أو في فالإضافة بمعنى اللام؛ فيتعين تقديره (من) إن كان المضاف إليه جنساً للمضاف نحو: هذا ثوب خز وخاتم حديد، والتقدير: هذا ثوب من خز وخاتم من حديد، ويتعين تقدير (في) إن كان المضاف إليه ظرفاً واقعاً فيه المضاف إليه نحو: أعجبني ضرب اليوم زيداً، أي ضرب زيد في اليوم ... فإن لم يتعين تقدير من أو في فالإضافة بمعنى اللام نحو: هذا غلام زيد، وهذه يد هند، أي غلام لزيد ويد لهند[2]، هذا الكلام للنحاة يبين أن:

١- العلاقة بين المتضايفين تقديرية.

٢- هذا التقدير يقوم على معاني المضاف إليه.

٣- أن الأصل في الإضافة هو علاقة الملكية.

(١) النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، ١٠٠.

(٢) شرح ابن عقيل، ج٣ /٤٣، وشذور الذهب لابن هشام، دار الأنصار، القاهرة، ص٣٩٩.

وهذا ما قال به د. غاليم وما ذكره من حالات أخري للعلاقة بين المتضايفين تقوم على تقدير مِن أو في، ويمكن تأويلها على معنى الملكية، كما في خاتم حديد أو ثوب خز، يمكن القول فيه هذا الخاتم ملك لمعدن الحديد؛ فهو منه أو بعض منه وكذلك الثوب.

إن ما يطلبه د. غاليم من القدماء هو التوسع في إدراك العلاقات بين المتضايفين، فهم لم يوجهوا اهتمامهم نحو العلاقات التصويرية والمعرفية الممكن قيامها بين المتضايفين، وهذا صحيح فهم لم يهتموا بتلك التفصيلات الواسعة والدقيقة بين المتضايفين، فهم كانوا يقعدون القواعد التي تتصف بالإيجاز والشمول؛ وهو مخالف للطبيعة التفصيلية للدراسة الحديثة، ولكن ما قاله يمكن أن نقبله كفروع لعلاقات جديدة تخرج من عباءة تقسيم القدماء، وهو ما فعله حين ذكر العلاقات الجديدة .

هذا التحليل الذي ذكره الدكتور غاليم يعطي تفصيلا أكبر لعملية الربط بين المتضايفين، يمكن الاستعانة به لتوضيح الجانب الاستعاري في المركبات الإضافية، وقدرة المتكلم علي إبداع دلالات جديدة. ويذكر د.غاليم فوائد التصور الجديد للعلاقة بين المتضايفين في أنه :

١ـ يظهر أن العلاقة بين المتضايفين تقوم على نوع من التعدد الدلالي أو التماثلات التصويرية (الجزئية)، أي أن العلاقة بينهما تقوم على ما يمتلكه اللفظان من دلالات مختلفة وما بينهما من تشابهات ولو جزئية.

٢. هذا التعدد الدلالي ليس اعتباطياً، وهذا ما ذكره القدماء بدليل تقديرهم لرابط محذوف.

٣. لا يجعلنا ننزل مختلف معاني الإضافة منزلة واحدة، أي ملاحظة ما بينها من فروق.

٤. يسمح بتبين إمكان وجود درجات من التعالقات النمطية النموذجية بين مختلف المعاني، وهذه الدرجات المختلفة هي ما يمكِّنُنا من إقامة علاقات بين المتضايفين.

٥ـ تمييز بعض المعاني المركزية من أخرى مشتقة أو غير مركزية، وهذا يوضح كم المعاني المكبوسة داخل اللفظة الواحدة.

٦. يمكن من تفسير كون هذه المجموعة من المعاني المخصوصة دون غيرها يعبر عنها بنفس البنية الصورية، وذلك بتبيان الرابط الاستعاري أو التصوري الجزئي الذي يربط هذه المعاني ببعضها ويربطها بنمط نموذجي[١].

هذا التصور الذي طرحة د. غاليم يجعلنا نعيد النظر في تلك العلاقة بين المتضايفين بصورة أوسع وأشمل بغرض الوصول إلى الأسباب التي جعلت هذا المركب الإضافي حاملاً لرسالة لغوية مستقلة تنوب عن رسالة طويلة، لقد لاحظ ذلك القدماء فجعلوا للإضافة كتباً مستقلة مثل: ثمار القلوب للثعالبي، وما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه للمحبي، لكن كان هدفهم في هذا العمل جمع كل عبارات المركب الإضافي التي ذكرها العرب، ونطقوا بها وتاريخها وأصل العبارة، وما تحول الكثير منها إلى مثل يُضْرب دون تحليل للعلاقة بين اللفظين لكننا من خلال حديثهم عن أصل العبارة يمكن أن نصل إلى نوع هذه العلاقة وتحليلها كما ذكرتُ في موضعه من البحث.

إن هذا التصور عن المتضايفين قد تطور عند القدماء أو قل طوره مجتمعهم، فوظفه في دلالات جديدة تولدت عن المعنى الأصلي (النمط النموذجي) ليظهر الإبداع اللغوي للمتكلم من خلال باب الاستعارة والكناية.

---

(١) النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة مبادئ وتحاليل جديدة، ١٠٠، باختصار وتصرف.

الخاتمة

تناولنا في هذه الدراسة مجموعة من العبارات الإضافية التي تشير إلى العلاقة الدلالية بين المتضايفين من خلال النظريات اللغوية الحديثة، ولم نستطع أن نغطى في الجانب التطبيقي كل العبارات الواردة في كتاب الثعالبي ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، وذلك لتكرار بعض العبارات وكذلك لكثرتها، وكذلك كان تطبيقنا للنظريات اللغوية الدلالية في إطار نماذج تمثيلية بغرض التطبيق فقط، والتأكيد علي صحة النظرية وجواز تطبيقها علي لغتنا العربية -كما طبقت علي اللغات الغربية. وقد خرجنا بعدة نتائج هي:

١. هذا الباب من أبواب اللغة يغطي جانباً كبيراً من الثروة اللغوية بما لديه من إمكانيات لغوية على إبداع دلالات تمكنه من سد ثغرات كثيرة في اللغة.

٢ - تتعدد العلاقات الدلالية بين المتضايفين ولكنها أساسها علاقة الملكية تقوم على روابط استعارية، مكنتها من إنشاء دلالات جديدة متعددة، بينت القدرة الإبداعية لدى المتكلم على خلق روابط بين الألفاظ، والاستفادة من تلك القدرة في خلق روابط بين الأشياء، وإنشاء عوالم دلالية جديدة.

٣ - تتطور اللغة بتطور فكر المتكلمين بها وقدرتهم على توظيفها لخدمة أفكارهم المتجددة المتطورة، وتعد التراكيب الإضافية إحدى وسائل اللغة إلى ذلك، فنجد تحولا في دلالة التركيب الإضافي من:

أ - مرحلة التكوين: وهي تمثل مرحلة بناء العبارة وصب الفكرة فيها.

ب - مرحلة الإبداع: وهي مرحلة في تطور استخدام العبارة وتوليد دلالات جديدة منها.

ج - مرحلة ضرب المثل: وفيها تشيع العبارة وتتحول إلى مضرب للمثل بين الناس.

د - مرحلة الابتذال والنسيان: وفيها يمل الناس تلك العبارة ويتجهون لغيرها؛ فتتسى تماماً.

٤ - الكثرة الهائلة لهذه العبارات في بطون الكتب، وربما ما تُرك منها أكثر مما كتب؛ يشير إلى تغلغل هذه الظاهرة في كل دروب الحياة مما يوحى لنا بأفكار ودراسات جديدة منها:

أ - محاولة إنشاء معجم دلالي جديد يقوم على نظرية الحقول الدلالية تكون مادته تلك العبارات التي تعبر كل واحدة منها عن رأي أو فكرة أو خبرة حول شيء ما في ذلك العصر.

ب - محاولة إعطاء صورة لهذا المجتمع بكل خصائصه بما ترسمه هذه العبارة من ملامح له، وهي دراسة لغوية اجتماعية.

٥ - بيان عمل البنية التصورية في بناء الصورة الذهنية للمعنى، وقدرتها على استحضاره عند النطق به، وتحليل الخيوط المكونة له والمرتبطة به والمتشعبة عنه، ويظهر دور البنية التصورية من خلال التركيب الإضافي بخلق علاقات متجددة بين ركني الإضافة ينتج عنها دلالات جديدة، وتفكيك البنية التصورية يعطى لنا الخلفية غير المنطوقة عن:

أ) بيئة هؤلاء القوم وأثرها في توجيه أفكارهم، ومكوناتها من حيوان ونبات وجماد.

ب) طبيعة العقلية العربية في هذا المجتمع وفي هذا العصر مقارنة بالعصر الحديث.

ج) السلوكيات الاجتماعية وعلاقتها بالبناء التركيبي للغة حيث يؤثر الأول على الثاني، فينتج لنا عبارات ذات تركيب معبر عن طبيعة سلوك هؤلاء القوم، والقدرات اللغوية وغير اللغوية لديهم.

٦ـ الإبداع اللغوي: تقوم الدراسة بمتابعة كل جديد في اللغة من خلال ما ينتجه المتكلم من عبارات تشير إلى عملية الابتكار اللغوي؛ وذلك من خلال خطين للتحليل والبحث هما:

الأول: تفكيك البنية التصورية لمعنى كلمتي الإضافة.

الثاني: ملاحظة القدرة على الخلق والإبداع لدى المتكلم بملاحظة أوجه التشابه أو الاختلاف بين الكلمتين وإبداع دلالات جديدة منها على الفور، بما يعرف بسرعة البديهة والجمع بين المتنافرين في عبارة واحدة، مما يدل على تجدد الأفكار وحيويتها في رأس المتكلم.

ثم نقوم بمقارنة ما حدث عند القدماء وما يحدث في عصرنا الذي نعيش فيه بما يؤكد تطابق العمليات العقلية التي تتم في العقول المبدعة في كل العصور، وقدرة الإنسان المبدع على الخلق والإبداع في كل زمان ومكان وبالطرق نفسها.

المراجع

أولاً: المراجع العربية والأجنبية:

١. الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية: د عطية سليمان أحمد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠١٤.

٢. الأسس النفسية للإبداع الفني في الرواية: د.مصري حنورة.الهيئة المصرية ط١، ١٩٧٩

٣. الأمثال العامية: أحمد تيمور باشا، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط٤، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٤. التأريخ النصي للنحو العربي من خلال مفهوم الإضافة، د. عبد السلام العساوي، دار سحر للنشر، تونس، ٢٠٠٤م.

٥. التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: د. رمضان عبد التواب، القاهرة مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٩٠م.

٦ ـ التوليد الدلالي ، د حسام البهنساوي مكتبة زهراء الشرق القاهرة ٢٠٠٣م.

٧ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، اللثعالبي دار المعارف المصرية ، ١٩٨٥م.

٨ ديوان جرير : (الصاوي)١٣٦٣هـ،

٩. الحيوان ، للجاحظ ، مصطفى الحلبي ١٣٥٧ هـ .

١٠. شذور الذهب ، ابن هشام ، دار الأنصار ، القاهرة بدون تاريخ .

١١. شرح ابن عقيل ، لابن عقيل ، دار الفكر القاهرة بدون تاريخ .

١٢ علم الدلالة والعرفانية: جاكندوف، ترجمة/ عبد الرزاق بنور، طبعة المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.

١٣. قاموس العلوم المعرفية: غي تيبرغيان وآخرون، تر/ جمال شحيد، طبعة المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٣م.

١٤. الكنايات العامية: احمد تيمور باشا، مطابع الأهرام التجارية، ط٢، ١٩٧٠م.

١٥. لفظة نفس في القرآن الكريم دراسة دلالية معجمية، د. عطية سليمان أحمد، مجلة آداب المنوفية، فبراير ٢٠٠٨.

١٦. مدخل إلي علم اللغة الإدراكي: مونيكا شفارتس، تر/ د.سعيد البحيري، زهراء الشرق لقاهرة ، ط١، ٢٠١٥م.

١٧. معجم علم النفس والتربية: مجمع اللغة العربية القاهرة ، ١٩٨٤م

١٨. المعجمية والتوسيط: د. عبد القادر فاسي فهري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٧.

١٩. المقاربة والتخطيط في البحث اللساني العربي، د. عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال، المغرب، ١٩٩٠

٢٠. من أنماط التحويلية في النحو العربي، د. عبد اللطيف حماسة، الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠

٢١. النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة مبادئ وتحاليل جديدة، د. غاليم، دار توبقال، المغرب، ١٩٩٩.

٢١ ـ نظرية التأويل وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت

٢٢. النمو اللغوي عند الطفل: د.عطية سليمان أحمد الأكاديمية الحديثة للكتاب، ط٢٠١٤،٢

18) (1989)"The Meaning of the Genitive : ACase Study in Semantic Structure and Semantic Change" Unpublished manuscript,University of California,Berkeley.

ثانياً: المجلات والدوريات ومواقع الشبكة العنكبوتية:

١. الاستعارة مقاربة إدراكية: منتديات ستار تايمز أرشيف اللغات واللهجات ،شبكة الانترنت

٢. علم الدلالة الإدراكي: د. دلخوش جار الله حسين. مجلة الآداب جامعة صلاح الدين. كلية اللغة العربية. العدد:١١٠. ٢٠١٤

٣. اللغويات ـ العصبية : روث ليسر ، موقع بشبكة الإنترنت www.pdffactory.com

٤. الناقلات العصبية: Salah Hamouda شبكة الانترنت.

الفهرس